

الشـهـر



الدكتور

محمـد عـبد الـهـ

أبـو جـعـفر التـقـيـ





أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

الرَّكْنُوْس

بِحَمْدِهِ نَعْلَمُ

أَبُو هَبْرَةِ التَّمْيِيْزِ

- ٢ -

﴿ جَمِيعُ الْمَحْقُوقِ مَحْفُوظَةً ﴾

٤٠٦٧٢
٧٤٥

همبست السرسر

سلسلة كتب شهرية تقدم في مطلع كل شهر كتاباً

صدر منها

مذكرات المُؤلِّف

خريجة اسم المؤمنين

المقدمة العددية



الكتاب القادر - ٣ -

دُعَيْلُ الظَّرَاعِي

يقدمه

الدستار جرس كنعان

يصدر في مطلع الشهر القادر

التاريخ الإسلامي

ما زال التاريخ الإسلامي من التواريخ المصابة بالجهود ، فهو لم يمحض في كثير من الأمور التي تستحق التحيص ، ولم يطأق من قيود التعمّب البغيض ولم يبحث في ضوء التحقيق والتدقيق ولم يدرس دراسة علمية حيادية ، ولذلك نظر المحققون إليه نظرةهم إلى الآثار المهمة والمرافق المعطلة ، والتراث البالي ، إنه يستوجب الاحترام ولكنه لا يصلح لهذا العصر ، ويستحق المناية والرعاية ولكنّه بعيد عن الغاية ، بل أنه لا يزال موضع جدال وموطن نضال .

وإن كتابة التاريخ اصّبحت تتممّد على التحرّي الكثير وحرّية العقل والقلم وسلامة التفكير وصدق التحليل والتجرّد من الموى والمحازفة ، والبعد عن التعسّف والتخليط ، وليس ذلك بالهين على الحاقد ولا باليسير على الشرير ، ولا بالسهل على الفسل (١) ، ولا هو من المباح في عصور الجهلاء من المؤلّك ، ولا من الممكن في الشعوب الجاهلة ، ولا سيراً الشعوب الشرقية ، فالتأريخ عندها لم ينفك ذليلًا عليلاً تصرفه الأهواء وتتحكم به الخرافات ويهدوه التعمّب الأعمى

(١) الفسل هو الضعيف العاجز والذل الرديء ، وحالته تسمى « الفسالة » .

ويود عدوها أن يبقى على حاله (١) .

والتراث في الإسلامي مع حاله التي وصفنا رأى برأها من الحرية النسبية ، كانت كالشبيهة المذيرة لقرارات السجن العالمة ، ولم تكن تلك البرهات تترى ، وإنما كان الزمان يجود بها متى شاء ، وما أقل جود الزمان وأكثر بخله !

ونحن إنما يعنيانا تاريخ العراق ورجاله وهو من أصعب التوارث ولا سبأ الأدوار الإسلامية ، فقد تعاقبت فيها عدة دول وحكمت فيها خلفاء وملوك وسلطانين ، مختلفو الأجيال متباينو السياسات ، متفاوتون الأزمنة ، ولكن أطول الدول عهداً ، وأبعدها أثراً ، وأقربها إلى قلب الإسلام والثقافة ، الدولة العباسية ، فقد ذاقت هذه الدولة العظيمة حلو الدهر وسره ورفعت أحياناً منزلة العرب ونوهت بالثقافة الإسلامية ، وحافظت على المدنية ، وبهيضت وجه الشرق في عدة مواقف تاريخية ، وتركـت قرائناً عظيمـاً من العلوم والفنون والأداب ، ونبغ فيها رجال هم كالنجوم في سماء الثقافة ، ولا نخفي أنـ يقولـ: ونساء مثل فاطمة السـكـاتـبة ، وـشـهـدةـ السـكـاتـبةـ الحـدـيـةـ، فـتـلـكـ

(١) بل يستأجر جماعات للضرر بـ بين الأفراد باسم الدين وأوثـكـ من بـحـرـفـونـ بـالـنـعـصـبـ .

كانت خطاطة عالمية ، تكتب في ديوان الخلافة العباسية ، وهذه نشرت العلوم في العالم الإسلامي بالدراسة والرواية .

وكان عهد المأمون وعهد المستضد بالله وعهد المستظاهر وابنه المسترشد بالله وابنه الثاني المقني لأمر الله وعهد المستجده والناصر لدين الله والمستنصر والمستعمص بالله عهوداً زاهراً للثقافة والعلوم والحرية الفكرية والحرية العلمية ولعلم القاريء يستغرب جعل عهد المستعمص بالله آخر الخلفاء الباين بالعراق من عهود الثقافة الزاهرة، والحقيقة أن هذا العهد يكفيه شرفاً بين العهود خروج « شرح نهج البلاغة » لعز الدين ابن أبي الحميد فيه ، وصدور « نسراً الأغريض في نصرة القراء » في صدره ، وتأليف الصاغاني للعباب الآخر ودر المباب الفاخر وجمع البحرين في غضونه وأثنائه .

وكان عهد البوهين من أزهر العهود الثقافية في هذه البلاد ، لاطلاق الحرية الدینية والحرية الفكرية والحرية القلمية ، نخرجت رسائل اخوان الصفا وأسست دار العلم السوارية من انشاء أبي علي بن سوار الساكت بالبصرة وهي أول دار علم حقيقة وآخرى مثلها بالبصرة أيضاً ودار العلم السابورية بالجانب الغربي من بغداد وفي ذلك العهد الف الشريف المرتضى كتابه « الشافي » وهو يمثل ضرباً نادراً

من الحرية الفكرية ، ليس لها مثيله في عصر الديمقراطية هذا ، وكذلك القول في « المغني » لقاضي القضاة عبدالجبار وكتب ابن الباقلاني والماوردي وأبي حيان التوحيدي .

ومن أزهر عهود الثقافة الإسلامية عهد الخليفة الناصر لدين الله الذي ابتدأ في أواخر القرن السادس ، فقد بلفت فيه الحرية الفكرية أن أحد المتعصبين ليزيد بن معاوية وهو عبد المفيت بن زهير الحربي ألف كتاباً في فضائل يزيد فلم يعرض له أحد بشر وألف كتاباً في الرد عليه أبو الفرج ابن الجوزي وهو من أهل مذهبة ، ونظمت في هذا العهد « القصائد السبع العلويات » وألف ابن الأخضر الحنبلي « معالم المرة النبوية » وكسدت سوق الدين يحترفون بالتعصب المذهبي الذميم ، وهم شرار الأمة قديماً وحديثاً .

وفي ذلك العهد الأزهر لمعت شخصيات من أحرار الكتاب وأحرار العلماء وأحرار الفلسفه وأحرار المؤرخين ولا نقول من أحرار الشعراء فقد استعبدتهم الدولة باحسانها فأدخلتهم في موظفيها وصار للآدب مكانة رسمية ، فالشعر اذا ذاك دعاوة الدولة واسانها الناطق ، ومن تلك الشخصيات العلمية الأدبية اللامعة كامل بن أبي الفتاح البادرأي ، والحسن بن حمدون ومبشر بن أحمد الرازى

بحي بن أبي سير العلوي التقي

— 1 —

نبغ بالبصرة في القرن السادس للهجرة بيت من البيوتات العلوية
الحسنية ، كانوا يعرفون ببني أبي زيد وأبو زيد هذا هو محمد بن أبي
عياش أحمد بن أبي علي عبيد الله بن أبي الحسن علي بن عبيدة الله
ابن عبدالله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي
طاب (ع) .

أشهر هؤلاء بالعلم والفضل وجمعوا إلى شرف السيدية العلوية
شرف العلم ، وجمال الأدب ، والبصرة وإن لم تكن مدينة علوية لهاوى
استطاع أن يثور فيها على المنصور إبراهيم بن عبد الله الحسني قتيل
باخرأ (١) وإن يخرج فيها على بني العباس باسم العلوين علي بن محمد
صاحب النجح وأول محرر لهم في الشرق ، والعلوى بطبيعته وسياسته
يندر أن لا يكون متشيئاً أو قائلاً بالامامة المنصوصة والخلافة
الموروثة .

(١) بآخر اقريه كانت قرب السکوفة جرت عندها الوامة بين الجيشين
جيش ابراهيم وجيش المنصور سنة ١٤٤٥.

وبنوا أبي زيد العلويون البصريون كانوا كما يستعينون لنا زيد بن ، وقد نبغ منهم في أواسط القرن السادس « قطب الدين أبو طالب محمد بن محمد بن علي بن أبي زيد المذكور آنفًا » وكان مولده بالبصرة في خلافة المقتدي بأمر الله العباسي وسلطنة ملكشاه السلجوقي ، ونشأ هناك نشأة السادة الأشراف وكان شيخ الأدب بالبصرة أبو محمد القاسم الحريري مؤلف المقامات الخيالية وشيخ الأدب في سواد البصرة أبو القاسم عبدالله بن محمد الخوارزمي المعروف بالكامل مؤلف كتاب « الرحل » وهي المقامات الحقيقة وكتاب « الفصول » في الأدب .

ولعل الشريف أبا طالب محمد بن أبي زيد هذا قرأ المقامات أو سمعها على مؤلفها الحريري ، ولقراءة والسماع على المؤلف شأن عظيم في دراسة القوم في تلك المصور ، وأقبل الشريف على كتب الحديث بسمعها على الشيوخ الثقات ، فقد سمع كتاب « سنن أبي داود » سليمان بن أشعث السجستاني ، وهو من امهات كتب السنة ، على الشيخ أبي علي محمد بن أحمد التستري ، أحمد التجار البحريين بالبصرة ، ومن جم بين بضاعته الدنيا والآخرة ، وذلك أنه كانت له ثروة ومراتب في البحر وحفظ القرآن الكريم وسمع الحديث النبوى

الشريف وكان حسن العقيدة ، صحيح السَّماع موثقاً بروايته - على ما ذكر بعض المؤرخين - توفي سنة ٤٧٩ .

كان عمر الشريف أبي طالب ابن أبي زيد عشر سنين حين بدأ سَماع كتاب السنن على أبي علي التستري ولعل هذا الشيخ الثقة مرض في أثناء حضور الشريف مجالسه الحديثية ، فقد علمنا أن الشريف المذكور روى عنه الجزء الأول سِيَّاماً أي سمعه عليه حضوراً وروى الجزء الثاني إجازة فقد أجاز له التستري روايته عنه ، والإجازة عندهم من نوع المبهات العلمية تستدعيها الثقة بالتلמיד قبل كل شيء ، ولم يكن الشريف قد بلغ من العمر والدراءة ما يستحق الثقة ، ولذلك ظننا أن خوف الموت هو الذي استخرج هذه المبة الثانية ، وأن مرض التستري هو الذي رشح الشريف لذلك .

وسمع الحديث أيضاً على الشيخ أبي طاهر محمد بن علي بن العلاف من مشهوري المحدثين هو وأبوه وجده ، وسمع أيضاً على الشيخ أبي طاهر جعفر بن محمد القرشي العباداني ، وكان شيخاً صالحًا إلا أنه كان أمياً توفي سنة ٤٩٣ هـ بالبصرة ، وأهل الحديث في ذلك الزمان ينظرون إلى عمر الشيخ وما سمعه من الكتب ، والصدق والاستقامة ولا يلتفتون إلى الامية ولا إلى الثقافة ولا إلى غيرها .

وسمّع الشّريف أبو طالب على غير هؤلاء الشّيوخ وبرع في الفنون الإسلاميّة وظهر فضله واشتهرت معرفته ، وولي نقابة الطالبيين بالبصرة ، في أيام نقيب نقباهم أبي عبدالله أحمد بن علي بن المعرّي العلوي الحسيني المتوفى سنة « ٥٦٩ » المدفون بالمدائن « سلمان بالك » في مشهد اولاد الحسن بن علي (ع) .

(١) استمد هذا التميز من القرب من نسب الرسول (ص) ومن الاتهاء
الىه ومن خدمته أى خدمة الاسلام .

الزماته والوقار ، ظريفاً مطبوعاً ، خفيف الروح ، حسن التصرف بالآحاديث حتى اتهم بالتزيد و « ما زالت الأشراف تهجي وندح » . وقد ذاع صيته بالعلم والفضل فاستقدمه الوزير الكبير بل سيد الوزراء عون الدين أبو المظفر بمحبي بن هبيرة الحنبلي ، وزير الخليفة المقتفي لأمر الله وابنه المستحبج بالله إلى بغداد وسمع عليه كتاب « سنن » السجستاني ، ورحل اليه رحلة طويلة أبو الفتح بن المصري فسمع عليه سنن السجستاني المذكورة ورواه عنها ببلاده ، وطبقت شهرته الآفاق وتلقيعت روايته على العراق وغير المراق ، ومن روى عنه الإمام برهان الدين نصر بن محمد ابن المصري البغدادي الحنبلي المقرئي ، المحدث المشهور . ومن شهادته لله تعالى عمرأ طويلاً ورواية المعمر بن عند طلاب الحديث هي الاكثير الاكثير في علم الحديث .

وروى عنه الشيخ الصالح أبو منصور سعيد بن أحمد بن علي المعروف بابن حمادش البحري المالكي سن أبي داود . وكما برع الشريف أبو طالب في الادارة والنقابة والرواية والدرایة فكذاك مهر في الكتابة ، و بما وجدنا له من قرسطه تهمة بعث بها إلى بعض الوزراء ولعله عون الدين ان هبيرة المذكور يقول فيها :

«أسعد الله حضرته بهذا الموسم الشريف ولا زالت كعبة نمحجاها

شفاه التهاني ولا زالت أبوابه السامية للرعايا مساد الآمني ، وثغور الاسلام مؤيدة محروسة بشرف آرائه ، وشروع الأعوام محبوسة بجدد آلامه ، ما سرت نسمة وما ابتسم الزهر بروض بيكي عليه الفمام » .

وفي شهر ربيع الأول من سنة « ٥٦٠ » هـ . توفي الشريف السيد أبو طالب محمد بن أبي زيد بالبصرة عن احدى وتسعين ، وخلف من الذكور - على ما وصل اليه علمنا - عبد الباقى بن محمد بن أبي زيد وشرف الدين أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد ، وهو الذي عقدنا هذا الكتاب في الاعراب عن فضائله وتجمل سيرته ، وقد أومأنا إلى ذلك من قبل ولم يك كأن أحسن من أخيه .

— ٢ —

ولد أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد هذا بالبصرة سنة « ٥٤٨ » في السنة الأولى من استقلال الدولة العباسية وخلالها من كابوس السلطنة السلجوقية ، ولد في عهد الحيرة ورجوع دولة العرب إليهم ، في بيت ذي سيادة عريضة وشرف وطاً الله مقاعده وأحسن معاقده ، وفي كنف النقابة العلوية والجاه الطالبي ، ونشأه والده تنشئة

الأشراف ، وقرأ الأدب على أديب بصري يعرف بأبي محمد ابن الأحمر الحناني ، لا نعرف من حاله شيئاً كحال كثير من الأدباء الذين قصر تاريخهم في أسرهم ولا سيما أدباء البصرة فليس لهذه المدينة العظيمة تاريخ يرجع إليه ولا تسجيل يعتمد عليه ولو لا خروج جماعة من الأدباء منها وخروج متأدبين تأذبوا فيها ما وقع بينا أسم أبي محمد ابن الأحمر شيخ مترجمنا ولا غيره من أسماء أدباء البصرة ، ولا نعني بذلك الذي ادر كأبي محمد القاسم الحريري البصري ، فإنه قد كان مشهور شهرة خرجت عن سلطان حمول البصرة ، ومع ذلك قصد بغداد فطار صيته في العالم الإسلامي .

قلنا إن أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد الملوى البصري درس الأدب بالبصرة ولا نستطيع أن نعين للقاريء الكتب التيقرأها أو سمعها تحت سمة « الأدب » ظلدو اولين الشعرية كديوان امري القيس وديوان الأعشى وديوان النابغة الذبياني وديوان الفرزدق وديوان جرير وديوان الأخطل كانت في مقدمة الدواوين التي قرأها أو سمعها هناك . ويدخل في الأدب الأخبار والأنساب ، وفي الأخبار أيام العرب ومقاماتهم وأخلاقهم وعاداتهم ومجتمع تواريختهم ، والأنساب من أول ما يدرس الملوى من الفنون العربية في ذلك الزمان ، فشرف

العلويين وجاههم وتعززهم على غيرهم واحتضانهم بعناية الدولة واحترام
الناس قائمة على الأنساب ، فضيف إلى ذلك أن التاريخ ذكر أن هذا
السيد الشريف درس كتاب « جهرة النسب » لابن الكلبي وسمعه على
أحد الشيوخ ولعله ابن الأحمر المذكور ، ولا نظمنا مبعدين بأن
نقول إنه درس أدب الكاتب لابن قتيبة وأخبار البصرة لعم بن
شبة ، وديوان بشار بن برد الشاعر البصري الرقيق المقتدر ومقامات
الحريري فلما على كونها كتاباً بصرياً كانت في أيام هذا الشريف قد
أصبحت من أمثلات كتب الأدب التي يدرسها المستاذ فيكتب
قروة لفوية من مفرداتها وثروة إنشائية من عبائرها ، وكذلك القول
في كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ و « والكامل » لأبي العباس
المبرد ، فهذهان الكتابان إلى كونهما بصريين أيضاً لم يُؤلف مثلها في
هذا الفن ، وكيف يحمل المتاؤب البصري تأليفها الأخرى كالحيواز
للحاجظ والروضة المبرد ؟

وفي أيام صباه لمعت شخصيات أدبية بالبصرة منهم خفر الدين
أبو زيد المطهر بن سالار المشاني ، أحد كبار الأدباء ، وهو من
تلמידيحريري ولتعليمه صنف المقامات وأخذ كنيته « أبا زيد »
فركب المقامات عليها ، ولكنها نسبة إلى « سروج » تعمية لأمره ،

وابننا الحريري أبو العباس محمد وأبو الفاسم عبد الله ولما كان عبد الله ترك البصرة وسكن بغداد، وشهاب الملك أبو المرتجي البصري والدكشي أبي علي الحسن بن علي من عبد القيس ومحمد بن يحيى القرشي والفضل بن أحمد بن سلمان والسكاف في سناء الدولة وغيرهم من لا نحب الاطالة والاملاك بذكر أسمائهم، ولم يذكر التاريخ صلة للشريف أبي جعفر بهم، ولم يقل أكثرهم ماتوا ودرجوا والشريف لم يذرف لثانية عشرة من عمره . أما ابن (١) ماري الطبيب الأديب فقد كان معاصرآ له .

وكتنا ذكرنا قبل هذا أن للشريف أبي جعفر أخا اسمه عبدالباقي واسترجحنا أن يكون عبدالباقي أصغر من أخيه ، والسبب في ذلك الاسترجاح أن أبي جعفر ولد نقابة الطالبيين بالبصرة بعد وفاة أبيه سنة « ٥٦٠ » على عهد الخليفة الهام المستجed بالله وقد جرت العادة عند القوم أن يتولى الأبن الأكبر ما كان يتولاه الأب مالم يمنع ذلك

(١) هو أبو العباس يحيى بن سعيد النضراني المعروف بابن ماري المسيحي ، كان كاتباً أدبياً شاعراً طيباً حكيماً مفتاناً ، يتكسب بالطبع والكتابة ويتدحر الأكباد والأعيان وله كتاب « المقامات الستين » المشهورة ، توفي بالبصرة سنة « ٥٨٩ » .

هافم كالعتاهية والآنة والجنون والعنق المشهود ، على أن والده مات
و عمره اثنتا عشرة سنة .

ويني أبو جمفر بالشعر وبرع في نظمه ومال إلى الأدب ، زيادة
على ما استعده من آلة النقابة كالفقه والخلاف والمقالات والجدل
والأحكام والكلام ، وليس من شك في أنه استفاد كثيراً من أبيه
أبي طالب محمد بن أبي زيد ، فقد جاء في التاريخ أنه روى الحديث
عنه ولكننا نستبعد أن يكون باشر النقابة بنفسه بعد أبيه وعمره اثنتا
عشرة سنة ، في مثل هذه الحال يجب أن يكون له نائب بباشرها
بالوكالة .

وفي أيام صباح كان أمير البصرة كمشتكين أحد الماليك من
الأتراك وكان أميرها قبل ذلك من كوبوس من الجنس المذكور ،
ولكن الخليفة المستنجد بالله أمر بقتله سنة « ٥٥٩ » ، واشتدت
أطعاع الأمراء في البصرة فأن الأمير ابن شنكا التركاني وهو ابن أخي
شحمة التركاني صاحب خوزستان « عربستان » قصد بجيشه البصرة
سنة « ٥٦١ » ونهب قراها وقتل كثيراً من جند أمير واستطع
حظه برس مؤسس المدرسة الحظلي برسية هناك ، وأسر كثيراً ، وفي
سنة « ٥٦٢ » عاد بجيشه إلى البصرة ونهب البلد نفسه وخرقه من

الجهة الشرقية ، وعاث فساداً في بلدان أخرى من جنوب العراق ، وفي مثل هذه الأحوال يكون موقف النقباء والخطباء والمعلماء حرجاً، فهم من ينقلب على دولته وينصر العدو ، فإذا هرب العدو في آخر الأمر فاما الهروب معه راما التعرض لعقاب شديد ، ومنهم من يبقى على مواليه بين الأمان والخوف . ولم يذكر التاريخ شيئاً في هذا ، فقد كان أبو جعفر صغيراً لا يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة .

— ٣ —

وكان سنه « ٥٧٥ » مبدأ عصر عظيم في الدولة العباسية ، وكان الفرد الحاكم المسيطر في ذلك الزمان أثر بالغ في سيرة الأمة ومعيشتها وتقدمها أو تأخرها ، وفي تلك السنة استخلف الإمام أبو العباس أحد بن الحسن الملقب بالناصر لدين الله ، ذلك الذي يكاد الباحث يجزم بأنه لم يل الخلافة خليفة عباسي مثله في الذكاء وفي السياسة وفي حقيقة السلطة ورعاية مصالح الدين والأمة ، ولا نريد أن نذكر في هذه الموازنة غير الخلفاء المباشرين وإن كان لنا مجال في ذلك .

لقد كانت مبادئه بالخلافة فائحة العدل والرخاء والحكمة والتبرير وخاتمة عهد التمعصب الشنيع والحكم الفظيع ، فقد اعترت الأمة في

(١) استجابةً صار حجاً وارتفاعاً وما فلان قياسياً والغالب =

وتفرعن وطغا ونجبر .

وكان أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد نقيب البصرة في الوفود
التي وفدت على الخليفة الجديد ، تهنته بالخلافة وتعزبه عن الخليفة
الفقيد ، وكان أدبه قد ذهب في البلاد كل مذهب وشرق شعره
وغرب ، فقال فيما قال من المدح التي مدح بها الخليفة في اليوم الثالث
من البيعة وقد رخصت الأسعار وهطلت الأمطار :

وليت وعام الناس أحمر ما حل جفت وجاد الغيث وانقشع الحال
وكم لك من نماء ليس بدرك ها حاسب إلا إذا حسب الرمل؟!
وانما قال ذلك لأن عادة الخلافة ورسومها قد جرت منذ عصور
بأن يخلع على الوفود والرسل المهنئين والبطانة والحاشية وغيرهم في أيام
المبايعات والمواسم والأعياد ، ويعطوا من المال مبالغ تبلغ آلاف
دنارين أحياناً ، فهذا تأويل قوله « وكم لك من نماء ليس بدرك لها
حاسب ». .

لقد كان عمر أبي جعفر النقيب سبعاً وعشرين سنة يوم بولع
الناصر لدين الله بالخلافة ، وكان عمر الناصر ل الدين الله اثنين وعشرين

== في قياس الثاني « استزاد » الا أننا حلقناه على « استصوب » في احدى
صورته .

سنة ، فلم تسمح الرسوم ولا الأحوال ولا أعمارها بأن يجتمعوا أو
يرى أحدهما الآخر في مثل تلك الأيام التي يكثر فيها التناقض ،
ونختاط فيها جاهير الناس وتكثر حركات أرباب الدولة وأعيانها لقيام
بالرسوم ، وتنشية أمور البيعة على الوجه الأكمل وفي السبيل الأفضل
، وأبن يقع الشريف أبو جعفر من هذا البحر الطامي من الرجال الدين
أصحابه يتدافعون ويتداهون ، ويتنافسون في السبق إلى السيطرة
الجديدة على الخليفة الجديد ، كما جرت العادة البشرية بين أرباب
السلطان في كل زمان ومكان ، ولكنهم خابت ظنونهم وساء تقديرهم
وحبطت آمالهم وكانت نفوسهم فهذا خليفة تزدان الخلافة به ويليق
الحكم بأعطافه فكانه خلق ليكون خليفة .

ولما انتهت الرسوم وختم الاحتفال ورفعت معالم الزينة انصرفت
الوفود والرسل وكان في وفد البصرة العائدين الشريف أبو جعفر ابن
أبي زيد ، ثم عاد إلى مناولة شؤون النقابة الطالبية هناك ، ورئاسة
آل أبي طالب والرئاسة عبء ثقيل لا يطُن فريق من البعيدين عن
معاملة أمورها .

— ٤ —

وكان عهد الناصر لدين الله عهد الكفايات والقابليات . كما هو

شأن كل عهد صالح - فالمجال مفتوح لا-كفاة والمجتهدين والدهاء
المقدسين والأذكياء المخلصين ، وقد يندس بينهم أحد المرائين أو
المتنفسين لاصطياد المال والمراتب ، ولكن الأيام كافية بالكشف
عنـه ، فاز صلاح رأس الدولة هو رأس كل صلاح فيها ، وكان من
الرجال الذين توسم فيهم الناصر لـ الدين الله - ونجار به تزداد حـكمة سنة
بعد سنة - أبو المعالي سعيد بن علي بن أحمد الأنصاري الحنبلي
المعروف بـ ابن حـديدة من ولـد قطبة بن عـاصـي بن حـديدة أنصاري
رسول الله (ص) ، أصلـه من كـرـخ سـاسـرا وـسـكـن بـغـداد مـنـذـ صـيـاـه
وكان أحدـ المـوسـرـين وـذـوـيـ الـمـالـ وـالـجـاهـ وـالـمـسـكـانـهـ وـالـسـيرـ الـحـسـنةـ
والـلـفـقـيـعـ عندـ الدـوـلـةـ العـبـاسـيـةـ معـ فـضـلـ ظـاهـرـ ، وـلـمـ يـزـلـ مـلـحوـظـاـ بـعـيـنـ
الـاعـظـامـ وـالـأـكـرامـ مـنـ دـيـوـانـ الـخـلـافـةـ ، مـشـمـولاـ بـسـوـابـعـ الـأـنـعـامـ إـلـىـ
إـنـ اـقـتـضـتـ إـرـادـةـ النـاـصـرـ لـدـيـنـ اللهـ تـأـهـيلـهـ لـلـوـزـارـةـ فـأـسـ باـسـتـدـعـاـهـ
مـنـ دـارـهـ يـوـمـ السـبـتـ لـسـبـعـ خـلـونـ مـنـ شـبـعـانـ سـنـةـ «ـ٥٨٤ـ»ـ هـ إـلـىـ
دارـ الـخـلـافـةـ عـلـىـ شـطـ دـجـلـةـ فـيـ شـارـعـ الـمـسـتـنـصـرـ الـحـالـيـ ، فـتـلـ بـيـابـ
حـجـرةـ الـخـلـيفـةـ ، وـهـذـهـ الـحـجـرةـ أـشـرـفـ مـوـضـعـ يـبـلـغـهـ ذـوـ صـرـتـةـ عـالـيـةـ
فـيـ الدـوـلـةـ ، وـحـضـرـ أـرـبـابـ الـمـنـاصـبـ وـالـوـلـاـيـاتـ وـالـحـجـابـ وـاتـبـاعـ دـيـوـانـ
الـخـلـافـةـ وـالـقـضـاءـ وـالـأـعـيـانـ ، وـخـرـجـ الـأـسـرـ مـنـ الـأـمـامـ باـسـتـيزـارـهـ ،

وخلع عليه هناك خلعة الوزارة - على العادة - وهي قيمة من القهاش المعروفة بالأطلس وفرجية من النوع ^(١) المزج وعمامة قصب ^(٢) كحلية ذات أعلام ذهب ، وقد سيفاً منها ، وأركب فرساً من خيل الخليفة وسلم إليه عهد الوزارة ، وبدل لقبه بأن جعل « معز الدين » فركب أبو المعالي من هناك ومشى بين يديه سائر أرباب الولايات حتى وصل إلى الديوان وجلس في دست الوزارة بالابواز الذي يجلس فيه الوزراء .

ولي هذا الوزير الحنبلي بعد وزير حنبلي قبله هو جلال الدين أبو المظفر عبيد الله بن يونس وكان هذا قد أخفق في وزارته لأن الناصر لدين الله كان قد بعثه بجيشه عباسي إلى بلاد العجم لمهاجمه السلطان طغرل الثالث بن ارسلان بن طغرل الثاني بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، وأمره بأمر لا بد منهـا للقائد بخافتها وسبب هزيمة الجيش العباسي وسقط هو أسيراً في السنة المذكورة « ٥٨٤ ». كانت وزارة معز الدين أبي المعالي سعيد بن حديدة الأنصاري

(١) الفرجية منسوبة إلى رجل اسمه « فرج » وهي تشبه الجبهة المعروفة في هذه الأيام بالبابدة ، والمزج من التمزيج وهو النسيج الصوفي الحريري .

(٢) عمامة القصب هي عمامة المكلبون أي خيوط الذهب وهي تشبه الكشيدة الحالية في النتش والوشي . والأعلام هي الخطوط المرسومة في القهاش .

(١) مات أبو المعالي ابن حدبدة الحنبلي الوزير سنة «٦١٠» هـ ودفن بعشهد الإمام علي بن أبي طالب.

أجحف به ، وسوء المعاملة التي لقيها من ناظر البصرة ، ولم يمنعه الوزير العادل عن حضور مجلسه وبسط شكاته بحضوره ، فلما دنمه أنسدده قصيدة ضمنها تملك الشكاة ، وباح بالظلمة التي نالتـه ، وهاج عروبة الوزير ونحوته واستعدى ديانـته وأمانتـه ، ومن تلك القصيدة قوله يشير إلى نسب الوزير الصريح وما فعله الانصار لرسول الله (ص) من الابوـاء والنصرة :

وقبائل الأنصار غير قليلة
لكن بنو غنم هم الأخيار
منهم ابو ايوب حل محمد
في داره واختاره الختار
أنا منه في الذسب الصريح وأنت من
ذاك القبيل فلي بذلك جوار
ولقد نزلت عليك مثل نزوله
في دار جدك والنزييل يجبار
فعلام اظلم والنبي محمد
أنى اليه وقومك الأنصار ؟
فاما سمع الوزير هذه القصيدة التي تستخرج العطف استخراجاً
وترفق القلوب القاسية فضلاً عن قلب هذا الوزير النبيل الدين الصين ؟
أجل لما سمعها رق له وأنحدرت دموعه على خديه وأشكاها ووعده دفع
المظلمة عنه ، ثم أمر نقلع عاليه خلعة ، ووصله بصلة وقضى حاجته
والنصفه من ناظر البصرة وعزله . ولم نستطع معرفة ذلك الناظر الظالم .
وفي هذه القدمة التي قدم بغداد فيها رأى الخليفة الناصر ل الدين الله

— على ما استرجحت أنا — وكان من رسوم الخلفاء في تلك الأيام ان لا يواجه الخليفة عظيماً من المظاهر الورايرين او ملكاً من الملوك الواقفين او اميرآ من الأمراء المتشرفين او شريفاً من الأشراف القاصدين إلا بالليل ، وقد توصل الشريف ابو جعفر النقيب ان يتشرف برؤيه الناصر (١) ليلاً ، فلما رأه وكله وجد نفسه بين يدي خليفة تقطع الاوصاف دون بلوغ معانيه ، وتضطمه الامامة منه على خبر الانسان ، يقوم بخلافة رسول الله (ص) اذ ذاك فكانه النبأ العظيم ، والسيد المنتظر ، فلم ينشب وهو بين الدهش والاعجاب والسرور والرعب ان انشأ يقول :

يلني هذه كاتبة موسى حين ناجي الله فوق الطور لم يكن خوفه كخوفي ولا سر د بلقيس الله مثل صرودي ولعل القاريء يستغرب هذين البيتين ويعدهما من المبالغة الشنيعة، ولكن المثل الشائع هو « فاراء كن سمعا ». ولقد رأى ابو جعفر النوري ذلك الخليفة العظيم، فامتلاط نفسه فرحاً ورعباً، وسمع كلامه

(١) قيل ان الذي سمي له في ذلك نفر الدين أبو علي الحسن بن هبة الله بن الراوي حايب الم Cobb تم صدور التخريج «وزير المالية» ، توفي سنة ٦٩٦ « ودفن بمقبرة الشونيزي وهي مقبرة الشيخ جنيد حالياً .

فrai آية من آيات الله - تعالى - تسحر بالإعان والبيان و تستند الى الدين والفرقان و تستمد مما لا يتبينه الإنسان ، ولم يكن الشريف أول محبور مسحور ببرؤية ذلك الخليفة ولا آخر مجدوب مغلوب ، فقد سحر الناصر المالمي الاسلامي من أقصاه إلى اقصاه ، وادهش الملوك والامراء ، وملا النقوس اسمه وهبته وعدله ثم جدد الاسماعيلية الباطنية إسلامهم على يديه ، فلا لوم على الشريف أبي جعفر .

— ٥ —

ولم يقتصر الجذاب هذا الشريف نحو الناصر لدين الله على ذلك فقد عزم على ترك البصرة موطن أهله ومسقط رأسه ومدرجه الأولى وملعبه الأول ومنشأه ، لجواررة الخليفة ببغداد ، وكيف لا يفعل ذلك وقد شاهد ما شاهد والتاريخ يشهد أن ناساً كثيراً من أنحاء العالم الاسلامي أخذوا يأرزنون إلى مقر الامامة العباسية ، كما تأرز الحية إلى مدخلها ، ففيها السعادة والعدل والهداية وحسن المباعدة والعيش الرخي . وكيف تكون الهجرة من مدينة إلى مدينة لو لا العدل والهداية والعز والحرية ؟

انتقل الشريف أبو جعفر إلى بغداد قبل سنة « ٦٠٥ » هـ وكانت حافلة بالعلماء والأدباء والرواة والشعراء ، والحكماء والأطباء ، فن

العلامة صفى الدين محمد بن معد العلوى الموسوى وهو حللى علوى مثله ، ترك الحلة وسكن بغداد واجاز له الناصر لدين الله رواية « مسند احمد بن حنبل » عنه ، ومنهم نخار بن معد بن نخار العلوى الموسوى الحـائـرى من اهل كربلاء ، والحسن بن حدونـ السـكـاتـبـ الـأـدـيـبـ ، ويحيى بن زبادـ السـكـاتـبـ الـمـقـدـمـ ذـكـرـهـ وـصـفـيـ الدـيـنـ مـحـمـدـ بـنـ جـيـلـ السـكـاتـبـ الـلـبـيـبـ وـمـحـمـدـ بـنـ سـلـيـمـاـتـ بـنـ قـتـامـشـ الـفـيـلـيـسـوـفـ الـعـجـيـبـ ، وـعـبـدـ السـلـامـ بـنـ عـبـدـ الـوـهـابـ بـنـ عـبـدـ الـقـادـرـ الـجـيـلـيـ الـحـكـيـمـ وـيـوـسـفـ بـنـ اـسـمـاعـيلـ الـلـمـفـانـيـ الـحـنـفـيـ ، مـدـرـسـ جـامـعـ السـلـطـانـ - وـقـدـ ذـكـرـنـاهـاـ منـ قـبـلـ - وـاسـمـاعـيلـ بـنـ عـلـىـ الـحـنـبـلـيـ وـقـدـ اـشـرـنـاـ إـلـيـهـ ، وـأـبـوـ الـخـيـرـ مـصـدـقـ بـنـ شـبـيـبـ الـنـحـوـيـ وـأـبـوـ الـبـقـاءـ عـبـدـ الـلـهـ بـنـ الـحـسـينـ الـعـكـرـيـ صـاحـبـ اـعـرـابـ الـقـرـآنـ ، وـالـمـبـارـكـ بـنـ الـمـبـارـكـ بـنـ الـدـهـانـ الـضـرـيرـ ، وـيـحـيـىـ بـنـ الـرـبـيعـ الـوـاسـطـيـ وـيـحـيـىـ بـنـ الـقـاسـمـ الـتـكـرـيـتـيـ وـمـحـمـدـ بـنـ يـحـيـىـ بـنـ فـضـلـانـ وـكـلـ مـنـهـمـ كـانـ مـدـرـسـ الـنـظـامـيـةـ ، وـعـبـدـ الـرـحـمـنـ بـنـ شـجـاعـ وـأـمـحـدـ بـنـ مـسـعـودـ الـتـرـكـسـتـانـيـ وـقـدـ كـانـ يـدـرـسـانـ بـمـدـرـسـةـ اـبـيـ حـنـيفـةـ ، وـعـلـىـ بـنـ عـلـىـ الـفـارـقـيـ مـدـرـسـ مـدـرـسـةـ السـيـدـةـ زـمـرـدـ خـاتـونـ اـمـ النـاصـرـ لـدـيـنـ اللهـ قـرـبـ مـدـفـنـهاـ الـمـعـرـوفـ الـيـوـمـ بـتـقـيـةـ السـتـ زـيـدةـ ، وـكـانـ شـافـعـيـاـ ، وـإـمـقـوـبـ اـبـنـ صـابـرـ الـمـنـجـنـيـقـ الشـاعـرـ وـمـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ الـوـظـائـقـ

وعيسى بن نصر التميري الشاعر ، وابو علي الحسن بن محمد بن عبدوس
الواسطي ثم البغدادي الشاعر وابو القاسم احمد بن علي بن بختيار ،
وابو الفضل عبد المنعم بن عبدالعزيز بن النطروناني الاسكندرى
الأديب الشاعر ، وقواص الدين نصر بن ناصر بن مكي المدائى وباقوت
الروى الشاعر المتسمى بعد الرحمن ، وابو محمد الحسن بن يحيى بن
عمارة الكاتب الشاعر وابو عبد الله محمد بن المها بشينائى والمؤيد
ابو البركات محمد بن زيد التكربى ، واحمد بن المؤمل بن الحسن
البغدادى ، وابو الشكر محمود بن سليمان الموصلى وابو علي الحسن
بن محمد بن طوق السكاكى الشاعر وابو المعالي هبة الله بن الحسين بن
المطلب المنبوذ بالجزء .

وما حظ الشريف ابو جعفر رحله بيفساده حتى قصدده طلاب
الأدب وأهل الحديث ، ورواة الشعر والأخبار والأنساب ، فقد كان
في كل ذلك علماً من الأعلام وأماماً من الأئمة ، ولم تستغن بغداد
عن علمه وادبه على كثرة العلماء والأدباء فيها ، لأنَّه كان يجمع إلى
ذاته سلامـة التفكير وحسن التعليل ، وصدق التحـليل ، فهو فيلسوف
الأدب والأخبار ، وكان من أقرب التلاميذ إليه وأكثرهم اختلافاً إلى
مجلسه عز الدين ابو حامد عبد الجيد بن هبة الله المعروف بـ ابن ابي

الحاديـد الشافـعـي . صاحـب شـرح الـبلاغـة ؛ فـقد قـرأ عـلـيـه كـتاب
« جـهـرـة الـأـنـسـاب » (١) لـابـن الـكـلـيـ وـكتـبـ المـغـازـيـ وـاخـبـارـ الدـوـلـ
الـاسـلـامـيـةـ وـكتـبـ الشـعـرـ وـالـأـدـبـ وـفـاتـشـهـ فـيـ اـمـوـرـ كـثـيرـةـ ،ـ كـانـتـ تـعـتـلـجـ
فـيـ صـدـرـهـ فـلاـ يـرـىـ هـاـ حـلـاـ وـلـاـ مـعـلـاـ ،ـ وـرـأـيـ الشـرـيفـ فـيـ عـزـ الدـينـ
ابـنـ اـبـيـ الحـدـيدـ مـوـضـمـاـ لـلـثـقـةـ وـمـعـدـنـاـ الـمـوـهـاـ فـأـفـضـىـ إـلـيـهـ بـأـحـادـيـثـ ،ـ
كـانـتـ ضـرـورـيـةـ لـلـثـقـافـةـ الـاسـلـامـيـةـ وـلـلـتـارـيخـ ،ـ وـكـانـ مـنـ بـرـاعـةـ شـارـحـ
شـرـحـ الـبـلـاغـةـ اـنـ سـجـلـ تـلـكـ الـآـحـادـيـثـ بـأـلـفـاظـهـ اـتـارـةـ وـبـعـانـيـهاـ تـارـةـ
أـخـرىـ ،ـ وـهـوـ غـيـرـ مـلـيمـ فـيـ ذـلـكـ ،ـ فـانـهـ شـرـعـ فـيـ تـسـجـيلـهـاـ بـعـدـ أـكـثـرـ
مـنـ ثـلـاثـيـنـ سـنـةـ ،ـ وـالـعـجـبـ مـنـ حـافـظـتـهـ الـقـوـيـةـ كـيـفـ حـافـظـتـ عـلـيـ الـمـعـانـيـ
فـضـلـاـ عـنـ الـعـبـارـاتـ ١ـ وـلـلـشـرـيفـ لـمـ يـكـنـ يـظـنـ أـنـ تـلـمـيـذـهـ هـذـاـ
سـيـثـيـتـ آـرـاءـهـ فـيـ كـتـبـهـ ،ـ لـأـنـ شـائـعـهـ السـيـاعـ لـاـ الـيـدـاعـ .ـ
وـأـنـىـ اـبـيـ الـحـدـيدـ عـبـدـ الـحـمـيدـ عـلـىـ اـسـتـاذـهـ بـماـ يـسـتـحقـ مـنـ الـمـدـحـ
وـذـكـرـ أـنـهـ كـانـ مـقـةـ مـأـمـوـنـاـ مـتـيـنـ الـدـيـاـنـةـ جـمـ الـعـلـمـ وـاسـعـ الـفـهـمـ وـانـهـ وـانـ
كـانـ عـلـوـيـاـ لـمـ يـكـنـ ذـاـ هـوـيـ تـعـصـيـ وـلـاـ ذـاـ جـنـفـ وـانـهـ لـمـ يـكـنـ اـمـامـاـ

(١) وكانت غالباً بالسابق حدث قال «لم يكن تحت الدهاء أعرف من أبي علي عبد الحميد بن التقي «لأنساب» وكان يحدث عن معرفة هذا النسبة بالمعجب »، كذا قال الصنفدي في ترجمة عبد الحميد.

حتى يقال انه يذهب عن نحاقته ويدفع عن مذهبها ، ودونك بعض ما قال
في استاذة الشرييف العلامة أبي جعفر .

قال في موضع من شرح نوح البلاغة : « وكان النقيب أبو جعفر
ـ رحمه الله ـ غزير العلم صحيح العقل منصفاً في الجدال غير متصلب
للمذهب » الى اذ قال « وكان ابو جعفر ـ رح ـ لا يجحد الفاضل
فضله والحديث شجون » .

وقال في موضع آخر : « كان ابو جعفر ـ رح ـ مع ما يذهب
اليه من مذهب العلوين ، منصفاً وافر العقل » .

وقال في موضع ثالث : « وقد ذكرت في هذا الفصل خلاصة
ما حفظته عن النقيب أبي جعفر ولم يكن امامي المذهب ولا كان
يقرأ من السلف ولا يرتضي قول المسرفين من الشيعة ، ولكنه كلام
أجراء على لسانه البحث والجدل يعني وبينه على ان العلوي لو كان
كرامياً (١) لابد ان يكون عنده نوع من تعصب وميل على الصحابة
وان قل » . وقال في موضع رابع « سألت النقيب وكان بعيداً عن
الموى والمصيبة » .

(١) الـكرامية بتشديد الراء اتباع محمد بن كرام من أصحاب المقالات ،
كان يهد الله جسماً كال أجسام .

وهذه الأقوال وغيرها لا تثبت قيمتها الا بما سنذكر من البيانات التي هي من آثار الشريف أبي جمفر ابن أبي زيد ، والا فما أسهل ان يدعى مدع لنفسه او لغيره انه بعيد عن التعصب القديم حتى اذا رأيت اعماله وقرأت اقواله وجدته تضع الانسانية من تعصبه الشديد وتفكيره الباطل البليد ، وهذه عادة الاحتراف بالدين ، والانجذاب اليقين ، وقلما نجد مجرما لا يدعى بين يدي الحاكم انه بريء طاهر الذيل صالح للأعمال ، بعيد عن سيرة الأرذال .

ولم يكن اقبال الرواة على شعر الشريف أبي جمفر بأقل من اقبالهم على ادبه الاخباري ومسموعاته ، فقد كان شاعراً رقيق الأشعار رائق المعاني ، رشيق اللفاظ وقد قدمنا شيئاً من شعره ، وذكر ابو المظفر يوسف بن قزاغليالمعروف بسيط ابن الجوزي ان الشريف اجاز له رواية شعره ، ومن شعره أوائل قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله وهي :

هذا العقيق وهذا الجزع والبان فاحبس فلي فيه اوطار واوطان
آليت والحر لا يلوى أليته ان لا تلذ بطيب النوم أجنان
حتى تعود ليالينا التي سلفت بالأجرعين وجيرانى كما كانوا
با حبذا شجر الجرعاء من شجر وحبذا روضه الخضل والبان ؟

إذا الفسيم سرى مالت ذوايبه
فلللفسيم على الأغصان هينمة
وبارق لاح والظمامه داجية
هذهآ يذكرنى هيفاء ضاحكة
كتمت حبك والأجفان تظهره
غادرت بالغدر في الاحشاء فارجوى
وهو من الطبقة الأولى من الشعر الصناعي ، ولستنا نطعم من
السيد النقيب ان يكون شعره في الذسيب والغزل صحيحاً بعيداً عن
الصناعة ، فليس ذلك من الانصاف ، وليس في الامكان ابدع مما كان
ولــكتبتنا يجوز لنا ان نقول : اهل الشريف أحب في ايام شبابه ،
وذكري الحب لا تبلיהם السنون الكثيرة فهي اللذة ما في الحياة من
الذكريات .

— 7 —

وفي شهر رمضان من سنة «٦١٣» توفي الله علامه عصره
وفريد دهره وشاعر آل أبي طالب أبو جعفر محمد بن أبي زيد ودفن

(١) في هذا البيت بعض التصحيف ، ولم نجد وجهاً أقرب للسلامة من هذا الذي هو عليه الآن .

في مقابر قريش عند مشهد الامام موسى بن جعفر «الكاظمية» وغاب ذلك العالم الفاضل الأديب الساكن الشاعر البارع ، وكانت المسرات عليه كثيرة والأسف شديداً ، فآفة الانسان هذا الموت الذي بهدم البنيان ، ويفسخ التدبير ويبدد الآمال ، ولم أعرف من ذرية أبي جعفر الذكور الا تاج الدين ابا زيد استماعيل ، واعله كان قد ترك له نقابة الطالبيين بالبصرة وانتقل الى بغداد ، فقد ذكر في كتب الأدب أن الأمير علي بن مقرب العيوني الشاعر مدحه بعد منحدره من بغداد ، الى البصرة أما ببغداد فقد دخلها العيوني سرتين الأولى سنة «٦١٠» والأخرى سنة «٦١٤» ، وأما البصرة فغير مرأة قال بعض الادباء :

وكان ابن مقرب قد حضر مجلس الشريف تاج الدين استماعيل بن أبي زيد هذا للسلام عليه ، ن詰 عليه توبيخ لها قيمة ثمينة ، قبل أن ينشد المدح بل قبل أن يعلم انه عازم على مدحه ، وذلك من شيم أهل الفضل والكرم فاتهم يأتي بهم ابتداءاً لا استداراً ولا استخراجاً ، وما قال في مدحه :

يختفي الصباة واللحوظ تبديها ويظهر الزهد بين الناس تنبويها ويستر الحب كيهلا يقال صبا شيئاً فتعلمه الأنفاس تنبويها

وأهالها من ليال لو تعود كما
كانت وأي ليال عاد ما ضيّها ١١
فاقت جميع الليالي بالبهاء كما
فاق البرية « تاج الدين » تشبيها
من يدع يوماً أبا زيد حاجته
فقد دعا دعوة ما خاب داعيها
إليك يا ابن رسول الله شاردة
بكرأ يطول رواة الشعر راوياها
وهي طويلة نجتزيء منها بهذا .

وقد نشأت بين الشريف تاج الدين استعمال والأمير البحرياني
الشاعر ألفة وصحبة واقتصر عليه مرة ، وقد من من صرضاً خفيفاً اياتاً
من الشعر فقال فيها قال :

اعيذك أن تسمو إليك الحوادث
وأن تتغشاك الخطوب الكوارث
سليل العلا لازلت في ظل نعمة
لك المجد ذان والسلامة ثالث
وحزن المدي في حضن عيش وعزة
لهمرى لقد أشهerte فضلا وسؤددأ
جزى الله تاج الدين خيراً فانه
فدى لأبي زيد رجال قلوبهم
ودونكها يا ابن النبي غريبة
وهي طويلة أيضاً ، أراد بها ان يظهر براعته في الاستكثار من
كافية النباء ولكنها أسف وأغرب وأبهر وما أعرب ، فليس هذا بالشعر

الذى يدخل الآذان بلا استئذان ، وتقروء العيون كائنة قرير زهر الرباض .

هذا موجز سيرة الشرييف أبي جعفر بحبي بن أبي زيد النقيب الذي ستره واضح الصورة في آثاره النبوية وإن كانت قليلة ، ولعل ما جئت به هو أكثر ما اعرف من سيرته المجهولة لفمه المراجع التاريخية .

نَفَافَةُ بَحْبَيِّ بْنِ أَبِي نَبِيرِ النَّقِيبِ
وَآرَاؤُهُ الْخَاصَّةُ بِهِ

يرى الانسان أحياناً مجازفات للمؤرخين فاذ منهم من يذكر المترجم
ويخصه بالدرجات العلي من العلوم والفنون وهو لا يستحق ذلك ومهم
من يسميه الحسد أو التعصب الدديم على تجربة المترجم من فضله
وفضائله وعلمه وأدبه . والمؤرخون ناس مثلنا لهم أهواه وقلوب ،
وعواطف وصوادر ، ونحن ان لا نذكر شيئاً من نفافة بحبي بن أبي
زيد النقيب فاننا نخشى أن نرمي بالمجازفة والتهويل والتعميم ، وهذا نحن
أولاء نذكر من نفافة الرجل ما يبده الظنوون ويوضع آراءه المعلوية
المعتدلة ، وأول ما نبدأ به من ذلك ما قاله الشريف من آرائه الخاصة
به في إسلام أكابر قريش ورأيه في الخلفاء الراشدين الثلاثة وغيرهم .

١ - رأيه في ثبوت الاسلام
وفي الخلفاء الراشدين الثلاثة وغيرهم

قال الشريف أبو جعفر النقيب : « إن الاسلام ما حلا عند العرب
ولا ثبت في قلوبهم إلا بعد موت النبي (ص) حين فتحت عليهم الفتوح
وجاءتهم الغنائم والأموال وكثرت عليهم المكاسب وذاقوا طعم الحياة

(١) يجوز أن يكون الأصل «الجنب».

(٢) ذكر قبل ذلك شيئاً من هذا ومن الاستهزاء وستذكرها في موضعها .

كما تذكر الآن نبوة خالد بن سنان العبسي حيث ظهر ودعا إلى الدين ولكان الناس يعجبون من ذلك ، ويبتداكونه كما يعجبون ويبتداكون أخبار من فبغ من الرؤساء والملوك والداعاة الذين انقرض أمرهم وبقيت أخبارهم » (١) .

وقال في الشيختين الخلفيتين أبي بكر وعمر :

« إنها مهدا دين الاسلام وارسيا قواعده ، ولقد كان شديد الاضطراب في حياة رسول الله (ص) وإنما مهداه بما تيسر للعرب من الفتوى والفتاوى في دولتها » (٢) .

وسأله ابن أبي الحبيب قال : فتقول ان أبي بكر وعمر في الجنة ؟ فقال :

« اي والله أعتقد ذلك لأنها اما أن يغفو الله تعالى عنها ابتداءاً أو بشفاعة الرسول (ص) أو بشفاعة علي أو بمؤاخذتها بعقاب أو عتاب ثم ينقلها الى الجنة لا استرب في ذلك أصلاً ولا أشك في ايمانها برسول الله (ص) وصحة عقidiتها » .

وقال في عثمان بن عفان :

« ان الدولة في ايامه كانت على اقباها وعلو جدها ، بل كانت

(١) و(٢) شرح نهج البلاغة لمزال الدين ابن أبي الحبيب ج ٢ ص ٥٧٦ .

الفتوح في أيامه أكثر والفتائم أعظم لولا أنه لم يرافق ناموس الشيفيين
ولم يستطع أن يسلك مسلكها وكان مضموناً في أصل القاعدة مغلوباً
عليه وكثير الحب لأهله واتبع له من صراحته وذريته أفسد القلوب
عليه وجعل الناس على خلمه وقتله ٤ .

« رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْهَا وَهُلْ كَانَ إِلَّا وَاحِدًا مَا نَعْصَنَا مِنْ شَجَرَةِ
عَبْدِ مَنَافٍ ، وَلَكُنْ أَهْلَهُ كَدْرُوهُ عَلَيْنَا وَأَوْقَمُوا الْمَدَاوَةَ رَبِّ الْبَخْضَاءِ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ » (١) .

وقال في موضع آخر : « والفرق بين الرجلين أبي بكر وعمر وبين الثالث عثمان ما أصيّب به الثالث وقتل تلك القتلة وخليفة الناس وحضره وضيقوا عليه بعد أن تولى إنشكارهم أفعاله وجهوه في وجهه وفسقوه وذلك لأنَّه استأثر هو وأهله بالأموال والنمسوا فيها واستبدوا بها فكانت طريقة وطريقهم مخالفة لطريق أبي بكر وعمر فلم تنصير العرب على ذلك ، ولو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد وجع الناس وردع الأسراء والولاء عن الأموال وتجنب استعمال أهل بيته ووفر أعراض الدنيا وملاذها وشهواتها على الناس زاهداً فيها تاركاً لها معه ضئلاً منها ما ضمَّه شيءٌ فقط ولا أنكِ عليه أحدٌ قط ولو

(١) المترجم المذكور في الموضع المزبور .

حول الصلاة من الكعبة الى البيت المقدس بل لو أُسقط عن الناس
احدى الصلوات الخمس واقتصر منها بأربع وذلك لأنهم الناس
مصروفون الى الدنيا والأموال فإذا وجدوها سكروا وإذا فقدوها
هاجوا واضطربوا ، استقرى أن رسول الله (ص) كيف قسم غنائم
هوازن على المنافقين وعلى أعدائهم الذين يتعلمون قتله وموته وزوال
دولته ، فلما أعطاهم أحبوه إما كلهم وأما أكثرهم ومن لم يحبه منهم
بقلبه جامله وداراه وكيف عن اظهار عداوته والاجلاب عليه)١(.

وقال في معاوية بن أبي سفيان :

« حاش لله أن يثبت معاوية فيجريدة الشييخين الفاضلين أبي بكر
وعمر ، والله ما ها إلا كالذهب الابرز ولا معاوية إلا كالدرهم
الزائف ».

٢ - اعتذاره عن الصحابة

إن مسألة نص رسول الله (ص) على الخليفة بعده و اختيار الامام
عليه وعدم النص من المسائل التي أقامت العالم الإسلامي وأقدمته ،
وشفت العلامة مملأ الكتب والأسفار ، وقد فرأ ابن أبي الحديد

(١) المرجع المذكور « ج ٣ ص ١١٨ - ٩ » .

المذكور على شيخه أبي جعفر محمد ابن أبي زيد شيئاً من الأخبار
الدالة على النص فقال له :

« ما ارها الا تكاد تكون دالة على النه ولکني أستبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نع رسول الله (ص) على شخص بعينه ... ». فقسال أبو جمفر له : « أبیت الا ميلاً الى المعنزة ، ان القوم لم يكونوا يذهبون في الخلافة الى انها من معالم الدين وانها جارية مجرى العبادات الشرعية كالصلوة والصوم ولست لهم كانوا يجرؤونها مجرى الأمور الدنيوية ويدركونها مثل تأمير الامراء وتدبير الحروب وسياسة الرعية ، وما كانوا يبالون في أمثال هذا من مخالفة فصوصه (ص) اذا رأوا المصلحة في غيرها ، الا تراه كيف نص على إخراج أبي بكر وعمر في جيش أسامة بن زيد ولم يخرجا لما رأيا أن في مقاهم مصلحة له وللملة وحفظها للمسنة ودفما للفترة » .

« وقد كان رسول الله ﷺ يخالف وهو حي في أمثال ذلك فلا ينكره ولا يرى به بأساً ، ألمست تعلم أنه نزل في غزارة بدر منزل على أن يحارب قريشاً فيه ، خالفته الأنصار وقالت : ليس الرأي في فزولك هذا المنزل ، فائزركه وانزل في منزل كذا . فرجم الى آرامهم . وهو الذي قال للانصار عام قدم المدينة : لا تؤبروا

النخل^(١)). فعملوا على قوله ، خالت نخلهم في تلك السنة ولم تشعر ، حتى قال لهم: أنتم اعرف بأمر دنياكم وانا اعرف بأمر دينكم . وهو الذي أخذ الفداء من أسارى بدر خالفه عمر ، فرجع الى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر وخلص الأسرى ورجعوا الى مكة ، وهو الذي أراد أن يصالح الأحزاب على ثلث نهر المدينة ليرجعوا عنه فأبى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة خالفاه فرجع الى قولهما . وقد كان قال لأبي هريرة : اخرج فناد في الناس ، من قال « لا إله إلا الله » مخلصاً بها قلبهـ دخل الجنة . نخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك ، فدفعه عمر في صدره حتى وقع على الأرض ، فقال له : لاتقلها فانك ان تقلها يتسللوا عليها ويدعووا العمل . فأخبر أبو هريرة رسول الله (ص) بذلك ، فقال : لا تقلها وخلهم يعلمون ، فرجع الى قوله عمر ؟ ٠

« وقد أطبقت الصحابة اطباً واحداً على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك كاسقاط سهم ذوي القربى واسقاط سهم المؤافة قلوبهم وهذا إنما أدخل في باب الدين منها في الدنيا . وقد عملوا بأرايهم أموراً لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة كحد المثلث فائهم عملاً وجهاداً ولم يجد رسول الله (ص) شاربي المثلث وقد

(١) أي لا تلتجوها .

شربها الجم الفقير في زمانه بعد نزول آية التحرير . ولقد كان أوصاهم في مرضه أن اخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب . فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلافة عمر ، وعملوا في أيام أبي بكر برأبهم في ذلك باستصلاحهم . وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة وحولوا المقام بعكة وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة ولم يقفوا مع موارد النصوص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد فرجع كثير منهم القياس على النصوص حتى استحالوا الشريعة وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة » .

« وكان أكثر ما يعملونـهـ بأـرائهمـ فيما يجريـ مجرـيـ الولاياتـ والتأميرـ والتدـيـرـ وـتـقـرـيرـ قـوـاعـدـ الدـوـلـةـ وـماـ كـانـواـ يـقـفـونـ معـ نـصـوصـ رسـوـلـ اللهـ (صـ)ـ وـتـدـيـرـاهـ إـذـا رـأـواـ المـصـلـحـةـ فـيـ خـلـافـهـ ،ـ وـكـانـواـ يـقـيـدـونـ نـصـوصـهـ المـطـلـقـةـ بـقـيـدـ غـيـرـ مـذـكـورـ لـفـظـاـ وـكـانـهـمـ كـانـواـ يـفـهـمـونـهـ مـنـ قـرـائـنـ أـحـوـالـهـ ،ـ وـتـقـدـيرـ ذـلـكـ الـقـيـدـ «ـ اـفـعـلـواـ كـذـاـ إـنـ رـأـيـتـمـوـهـ مـصـلـحـةـ »ـ .ـ وـأـمـاـ مـخـالـفـهـمـ لـهـ فـيـهاـ هـوـ مـخـضـ الشـرـعـ وـالـدـيـنـ وـلـيـسـ بـيـتـمـلـقـ فـيـ اـمـوـرـ الدـنـيـاـ وـتـدـيـرـاهـ فـإـنـ يـقـلـ جـداـ نـحـوـ اـنـ يـقـولـ «ـ الـوضـوءـ شـرـطـ فـيـ الصـلـاـةـ »ـ .ـ فـيـجـمـعـسـوـاـ عـلـىـ رـدـ ذـلـكـ وـيـجـيزـوـاـ الصـلـاـةـ مـنـ غـيـرـ وـضـوءـ اوـ يـقـولـ «ـ سـوـمـ شـهـرـ رـمـضـانـ وـاجـبـ »ـ

فيطبقوا على مخالفة ذلك و يجعلوا شوالاً عوضاً منه ، فأنه بعيد اذلاً
غرض لهم فيه ولا يقدرون على اظهار مصلحة خفية عنده (ص) » .
« والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أن العرب لانطيم علياً
« ع » في بعضها للحسد وبعضها للوتر والتآمر وبعضها الاستهداف سنه
وبعضها لاستطالتها عليهم وترفعه عنهم وبعضها كراهة اجتماع النبوة
والخلافة في بيت واحد وبعضها للخوف من شدة وطأته وشدة همه في
دين الله وبعضها لرجله تداول قبائل العرب الخلافة اذا لم يقتصر بها
على بيت مخصوص عليه ، فيكون رجاء كل حي لوصولهم اليها ثابتاً
مستمراً ، وبعضها يبغضه لغضبه من قربته لرسول الله (ص) وهم
المنافقون من الناس ومن في قلبه زيف من أمر النبوة فأصفق السكك
اصفاقاً واحداً على صرف الأمر عنه لغيره واحتج رؤسائهم بـ « أنا
خفتنا الفتنة » وعلمنا أن العرب لا تطيعه ولا قدره ، وقاولوا عند
أنفسهم النص ولا ينكر النص وقالوا « انه النص ولكن الحاضر يرى
مala يرى الغائب والنص قد يترك لأجل المصلحة الكلية » . وأعانهم على
ذلك مسرعة الأنصار الى اشعائهم الأمر واخراجهم سعد بن عبادة
من بيته وهو مريض لينصبوه خليفة - فيها زعموا - واختلط الناس
وكثراً الخبط وكادت الفتنة ان تشتعل فارها ، فوثب رؤساء المهاجرين

فبایعوا أبا بکر وکانت فلتة ، - کما قال قائلهم - وزعموا انهم أطفاؤا
بها نارۃ الانصار ، فن سكت من المسلمين وأغضى ولم يتعرض فقد
کفاحم أمر نفسه ومن قال مراً أو جهراً « ان فلاناً قد كان رسول
الله (ص) ذكره أو نص عليه أو أشار اليه » أسكنته في الجواب
بـ « أنا بادرنا الى عقد البيعة مخافة الفتنة » واعتذروا عنده ببعض
ما تقدم اما أنه حديث السن أو تبغضه العرب لأنه وترها وسفك دماءها
أو لانه صاحب زهو وتباه أو كيف تجتمع النبوة والخلافة في مدرس
واحد ؟ بل قد قالوا في المذر ما هو أقوى من هذا واو كد ، قالوا
« أبو بکر أقوى على هـذا الأمر من علي بن أبي طالب ، لا سیما
و عمر بن الخطاب يعوضه ويساعده والعرب تحب أبا بکر ويعجبها اینه
ورفقه وهو شيخ مجريب للـأمور لا يحسده أحد ولا يحقد عليه أحد
ولا يبغضه أحد وليس بذی شرف في النسب فيشمخ على اللهـاس
بشرفة ولا بذی قربی من الرسول (ص) فيidel بقرباه ، ودع ذا کله
فانه فضل مستغنى عنه . لو نصبنا علياً لارتدى الناس عن الاسلام
وعادت الجاهلية كما كانت ، فأیما أصلح في الدين الوقف مع النعم
المفضى الى ارتداد الخلق ورجوعهم الى الاصنام والجاهلية أم العمل
بتقتضي الاصلاح واستبقاء الاسلام واستدامه العمل بالدين واذ كان

فيه خالفة النص ؟ » .

« وسكت الناس عن الآنكار فلهم كانوا متفرقين ففهم من هو مبغض شانى لعلي بن أبي طالب ، فالذى تم من صرف الأمر عن علي هو قرة عينه وبرد فؤاده ومنهم ذو الدين وصححة اليقين الا انه لما رأى كبراء الصحابة قد اتفقوا على صرف الأمر عن علي ظن أهون إنما فعلوا ذلك لنصل سمعوه من رسول الله (ص) ينسخ ما قد كان سمعه من النص في حق علي ، لا سيما ما رواه أبو بكر من قول النبي (ص) « الأئمة من قريش » فان كثيراً من الناس توهموا أنه ناسخ للنص الخاص وان معنى الخبر « انكم مباحوز في نصب امام من قريش ، من أي بطون قريش كان ، فإنه يكون اماماً ، وآكد في تقوسيم رفض النص الخاص ما سمعوا من قول رسول الله (ص) « ما رأاه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » وقوله (ص) « سألت الله أز لا يجمع أمني على ضلال فأعطيتهما » . فأحسنوا الظن بما قدم البيعة قالوا « هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله (ص) من كل أحد » . فامسكوا وكفوا عن الانكار » .

« ومنهم فرقة أخرى وهم الأكثرون أعراب جفاعة وطغام أتباع كل ناعق يغلوذ مع كل ريح ، فهؤلاء مقلدون لا يسألون ولا ينكرون

ولا يحيطون وهم مع أسرائهم ولأنهم لوأسقطوا عنهم العصالة الواجبة لتركوها » .

« فإذا لك الحق النص وخفي ودرس وقويت كلة العاقدين لبيعة أبي بكر وقوتها - زيادة على ذلك - اشتغال علي وبني هاشم برسول الله (ص) من إغلاق بابهم عليهم وتخليهم الناس يعملون ما شاؤوا وأحبوا ، من غير مشاركة لهم فيما هم فيه ، لكنهم أرادوا استدرار ذلك بعد مآلات والفاتت لا رجمة له . واراد على بعد ذلك نقض البيعة فلم يتم له ذلك . وكانت العرب لا ترى الغدر ولا تنقض البيعة صواباً كانت أو خطأ . وقد قالت الأنصار وغيرها لعلي « أيها الرجل لو دعوتنا إلى ذفك قبل البيعة ما عدلنا بك أحداً ولكننا باليمن ، فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوتها » .

« وما جرأ عمر بن الخطاب على بيعة أبي بكر والمذول عن علي - مع ما كان يسمعه من الرسول (ص) في أمره - أنه اذكر سراً على الرسول (ص) أموراً اعتمدتها فلم ينكر عليه رسول الله (ص) انكاره بل رجع في كثير منها إليه ، وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بعواقبته ، فأطمعه ذلك في الاقدام على اعتقاد كثير من الأمور كان يرى فيها المصلحة مما هو خلاف النص وذلك نحو انكاره

عليه في الصلاة على عبد الله بن أبي المذاق وانكاره فداء اصحابي بدر وانكاره عليه تبرج لسانه للناس وانكاره قضية الحديبية وانكاره امان العباس لأبي سفيان بن حرب وانكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة وانكاره امر النداء « من قال لا آله الا الله دخل الجنة » وانكاره أمره بذبح النواصح وانكاره على الفساه بحضور رسول الله (ص) هيلتهن له دون رسول الله (١) (ص) الى غير ذلك من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث ، ولو لم يكن الا انكاره قول رسول الله (ص) في صرمه « ايتوني بدواء وكتف اكتب لكم ما لا تضلون بعدي » . وقول عمر ما قال وسَكَوت رسول الله عنه . واعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم « حسبنا كتاب الله » فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار فبعضهم يقول « القول ما قال رسول الله (ص) » وبعضهم يقول « القول ما قال عمر » . فقال رسول الله - وقد كثر اللقط وعلت الأصوات - « قوموا عنِّي فما ينبيي انجي أن يكون عنده هذا التنازع » . فهل بي للنبوة مزية أو فضل اذا كان

(١) مختصر الخبر أن عمر بن الخطاب استأذن على النبي (ص) ذات يوم وعنده نساء من قريش يكلنه عاليه أصواتهن لما استأذن عمر تبادرن الى الحجاب . و تمام الخبر في الأصول .

الاختلاف قد وقع بين القولين وميل المسلمين بينها فرجح قوم هذا
وقوم هذا ، أفليس ذلك دالاً على أن القوم سروا بيته وبين عمر
وجعلوا القولين مسألة خلاف ، ذهب كل فريق إلى نصرة واحد منها
كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الأحكام فينصر قوم هذا
وينصر ذلك آخرون ؟ فمن بلفت فوته وهمته إلى هذا كيف ينكر منه
أنه يسايع أبي بكر لمصلحة رآها ويعدل عن النص ؟ ومن الذي ينكر
عليه ذلك وهو في القول الذي قاله للرسول (ص) في وجهه غير خائف
من الأنصار ولا ينكر عليه أحد لا رسول الله (ص) ولا غيره ؟
وهذا أشد من مخالفة النص في الخلافة وافضع واسمع » .

« إن الرجل ما اهمل أمر نفسه بل أعاده اعذاراً واجوبة وذلك
لأنه قال لقوم عرضا له بمحدث النص « إن رسول الله (ص) رجع
عن ذلك باقامته أبي بكر في الصلاة مقامه » وأوهم أن ذلك جار بمحرى
النص على أبي بكر بالخلافة . وقال يوم السقيفة : « إيمكم بطبيب نفسيماً
أز يتقدم قدميماً قدماها رسول الله (ص) في الصلاة ؟ » .

ثم أكد ذلك بأن قال لأبي بكر وقد عرض عليه البيعة « أنت
صاحب رسول الله (ص) في المواطن كلها شدتها ورخائما ، رضيتك
لديتنا أفالاً نرضاك لدينا ؟ ثم طب علينا بخطبته بنت أبي جهل فأوهم

أن رسول الله (ص) كرهه لذلك ووجد عليه ، وارضاه عمر بن العاص
فروى حديثاً افتعله واختلقه على رسول الله قال : سمعته يقول « اذ
آل أبي طالب ليسوا لي با ولية إنا ولبي الله وصالح المؤمنين ». .
فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله (ص) « من كنت مولاه فهذا مولاه ». .
قال ابن أبي الحميد : قلت للنقيب أبي جعفر « أليصح الفسخ
في مثل هذا ، اليس هذا نسخاً للشيء قبل تضيي وقت فعله ؟ فقال :
« سبحان الله من أين تعرف العرب هذا وأني لها أن تتصوره
فضلاً عن أن تحكم بعدم جوازه ، فهل يفهم حذاق الأصوليين هذه
فضلاً عن حق العرب ؟ هؤلاء قوم ينخدعون بأدئني شبهة ويستألون
بأدئني سبب وتبني الأمور منهم على ظواهر النصوص وأوائل الأدلة
وهي أصحاب جهل وتقليد لا أصحاب تفصيل ونظر » .

« ثم أكيد حسن ظن الناس (بأبي بكر وعمر وجاءها) أنهم
اظلفوا أنفسهم عن الأموال وزهدوا في متاع الدنيا وزخرفها
وسلكوا مسلك الرفض لزيتها والرغبة عنها والقناعة بالطفيف الترazer
منها وأكلوا الجشب وليسوا الكرايس ، ولما ثقت إليهم الدنيا أفلاذ
كبدها وفروا الأموال على الناس وقسموها بينهم ولم يتدعسوها منها
بقليل ولا كثير ، فماتت إليهم القلوب وأحببهم النفوس وحسنـت فيهم

الظنوذ وقال من كان في نفسه شبهة أو وقفة في أمرهم « لو كان هؤلاء قد خالفوا النص طوى أنفسهم لسكنوا أهل دنيا ولظهور عليهم الميل إليها والرغبة فيها والاستئثار بها ، وكيف يجتمعون على أنفسهم مخالفة النص وترك لذات الدنيا وما ربهما فيخسروا الدنيا والآخرة وهذا لا يفعله عاقل والقوم عقلاء ذوو أباب وآراء صحيحة ». فلم يبق عند أحد شك في أمرهم ولا ارتياـب ب فعلهم وثبتت العـاقـادـ على ولايـتهم وتصوـبـ أفعالـهم ونسـواـ اللهـ الرـئـاسـةـ وـاـنـاـصـحـابـ الـهـمـ الـعـلـيـةـ لا يـلـفـتوـنـ إـلـىـ المـأـكـلـ وـالـمـشـرـبـ وـالـمـنـكـحـ وـاـنـاـ يـرـيدـونـ الرـئـاسـةـ وـنـفـوذـ الـأـمـرـ كـاـ قـالـ الشـاعـرـ :

وقد رغبت عن لذة المال اتفـسـ وـمـارـغـبـتـعـنـلـذـةـالـأـمـرـوـالـنـهـيـ (١)

٣ - رأـيـهـ فـيـ عـلـىـ وـالـأـمـامـةـ وـغـيـرـ ذـلـكـ

قال بعض أصحاب الامام على الأسدية له ذات يوم : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحـقـ به ؟
فقال علي : « يا أخاـ بـنـيـ أـسـدـ ، إـنـكـ لـقـلـقـ الـوضـبـينـ ، قـرـسـلـ فـيـ غـيـرـ سـدـ وـلـكـ بـعـدـ ذـمـامـةـ الصـهـرـ وـحـقـ الـمـسـأـلـةـ وـقـدـ اـسـتـمـلـتـ قـاعـلـ ،

(١) نـسـخـ نـجـاحـ الـبـلـاغـةـ (ـجـ ٢ـ ، صـ ١١٥ـ - ١١٨ـ) .

اما الاستبداد علينا بهذه المقام ونحن الأعلون نسباً والأشدون
برسول الله (ص) نوطأ قاتمـاـ كانت اثرة شحت عليهـا نفوس قوم
وسخت عنها نفوس آخرين ، والحكم لله والمبعوث اليه يوم القيمة :
ودع عنك نهباً صبيح في حجراتهـ ولكن حديثاً ما حديث الرواحلـ
وهم الخطيب في ابن أبي سفيان فلقد أضحكني الدهر بعد ابكتهـ
ولا غرو والله، فياله خطباً يستفرغ العجب ويكثر الأودـ، حاول الفوضـ
اطفاء نور الله من مصابحهـ، وسد فوارهـ من إنبوعهـ وجذروا بيتهـ
وبيتهم شرـاً وبغيـاًـ، فلن ترتفع عنا وعهم محن البلوي أحلمهم من الحقـ
على محضهـ وان تكون الأخرى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات انـ
الله عليـم بما يصنعون) .

قال عز الدين ابن أبي الحديدة : وسألت ابا جعفر يحيى بن محمدـ
العلوي نقيب البصرة وقت قراءتي عليهـ، عنـ هذا الكلام . . .
فقلت منـ يعني (ع) بقوله « كانت اثرة شحت عليها نفوس قومـ
وسخت عنها نفوس آخرين » ومن القوم الذين عنهم الأـسدي بقولهـ
« كيف دفعكم قومكم عنـ هذا المقام واتـمـ احقـ بهـ ؟ ». هل المرادـ
يوم السقيفة او يوم الشورى ؟ فقالـ : يوم السقيفةـ : فقلتـ : إنـ
نسمـي لا نسامـي انـ انسـب الى الصحابة عصـيان رسول الله (ص)

ودفع النعى . فقال : « وانا فلا تسألهني ايضاً نفسي انى انساب
الرسول (ص) الى اهمال امر الامامة وان يترك الناس فوضى سدى مهملين
وقد كان لا يغيب عن المدينة الا ويؤمر عليها اميراً وهو حي وليس
بالبعيد عنــما فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما
يحدث » .

« ليس يشك أحد من الناس أن رسول الله (ص) كان عاقلاً
كامل العقل، أما المسلمين فأعتقدهم فيه معلوم وأما اليهود والنصارى
والفلسفه فيزعمون أنه حكيم تام الحكمة ، سديد الرأي ، أقام ملة ،
وشرع شريعة ، فاستجده ملائكاً عظيمــاً ، بعقله وتدبره، وهذا الرجل
العاــقــلــ الســكــاــمــلــ يــعــرــفــ طــبــاعــ الــعــرــبــ وــغــرــائــزــ هــمــ وــطــلــبــهــ بــالــثــأــرــاتــ وــالــذــحــولــ
ولو بعد الأــزــمــانــ المــتــطــاــوــلــةــ وــيــقــتــلــ الرــجــلــ مــنــ القــبــيــلــةــ رــجــلــاًــ مــنــ بــيــتــ
آخــرــ فــلــاــ يــزــالــ اــهــلــ ذــكــ المــقــتــوــلــ وــأــقــارــبــهــ يــتــطــلــبــوــنــ الــقــاتــلــ لــيــقــتــلــوهــ ،
حتــىــ يــدــرــ كــوــاــزــارــهــمــ مــنــهــ فــإــنــ لمــ يــظــفــرــواــ بــأــحــدــهــ قــتــلــوــاــ وــاحــدــاــ أوــ جــمــاعــةــ مــنــ تــلــكــ القــبــيــلــةــ بــهــ ، وــانــ لمــ
يــكــوــنــ وــأــرــهــطــهــ الــأــدــنــيــنــ ، وــالــاســلــامــ لــمــ يــجــلــ طــبــائــعــهــمــ وــلــاــغــيــرــ هــذــهــ الســجــيــةــ
الــمــرــكــوــزــةــ فــيــ اــخــلــقــهــمــ وــغــرــائــزــ بــحــاــلــاــ فــكــيــفــ يــتــوــهــمــ لــبــيــبــ أــنــ هــذــاــ
الــعــاــقــلــ الســكــاــمــلــ الــذــيــ وــتــرــ الــعــرــبــ وــعــلــىــ الــخــصــوــصــ قــرــيــشــاــ وــســاعــدــهــ عــلــىــ

أولاده للملك وقام خواصه وخدمه وخوله بأمره من بعده لحققت
دماء أهل بيته ولم تطل يد أحد من الناس اليهم لนามوس الملك ، وأباهة
السلطنة وقوة الرئاسة وحرمة الامارة ، أفترى ذهب عن رسول الله
(ص) هذا المعنى ام أحب ان يستأصل أهله وذريته من بعده ؟ وأين
موضع الشفقة من فاطمة العزيزة عنده الحبيبة الى قلبه ، أتقول انه
احب ان يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفف الناس وان يجعل
عليها المكرم معظم عنده الذي كانت حاله معلومة منه كأبي هريرة
السدوسي وأنس بن مالك الانصاري يحكم الامراء في دمه وعرضه
ونفسه ولدته فلا يستطيع الامتناع وعلى رأسه مائة الف سيف مسؤول
لتلظى اكباد أصحابها عليه ويودون أن يشربوا دمه بأفواهم ،
ويأكلوا لحمه بأسنانهم ، قد قتل أبناءهم وآخواتهم وآباءهم وأعمامهم
والعهد لم يظل والقروح لم تندرف والجروح لم تندمل ؟ ٤ .

قال ابن أبي الحديد : فقلت له « لقد أحسنت فيها قلت الا ان
لحفظ علي (ع) يدل على أنه لم يكن نص عليه ، الا تراه يقول (ونحن
الأعلون نسباً والأشدون بالرسول نوطاً) يجعل الاحتجاج بالنسب
وشدة القرب ، فلو كان عليه نص لقال عوض ذلك (وأنا المنصوص
على المخطوط باستبي) ٥ .

فقال - رح - : « انا أئن الأُسدي من حيث يعلم لا من حيث
يجهل ، الا ترى أنه سأله فقال : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام
وأنتم أحق به ؟ فهو انا سأله عن دفعهم عنه وهم أحق به من جهة
اللحمة والعترة ، ولم يكن الأُسدي يتصور النص ولا يعتقد ولا
يختطر بباله ، لأنَّه لو كان هذا في نفسه لقال له : لم دفعك الناس عن هذا
المقام وقد نص عليك رسول الله (ص) ؟ ولم يقل له هذا . وانما قال
كلامًا عامًّا لبني هاشم كافة : كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحق
به ؟ اي باعتبار الهاشمية والقربى . فأجابه بجواب اعاد قبله المعنى الذي
تعلق به الأُسدي بعينه تمهيداً للجواب فقال : انا فعلوا ذلك مع انا
اقرب الى رسول الله (ص) من غيرنا ، لأنهم استثروا علينا . ولو قال:
انا المنصوص علىـ والمحظوب باستثنى في حياة رسول الله (ص) ما كان
قد اجابه ، لأنَّه ما سأله : هل انت منصوص عليك ام لا ؟ ولا : هل
نص رسول الله (ص) بالخلافة على احد ام لا ؟ وانما قال : لم دفعكم
قومكم عن الأمر وانتم اقرب الى ينبوغه ومعدنه منهم ؟ فأجابه
جواباً ينطبق على السؤال ويلاءمه ، فلو أخذ يصرح له بالنص ويرفعه
تفهـ اصيل باطن الأمر لنفر عنه واتهمه ولم يقبل قوله ولم ينجذب الى
قصديقه فكان اولى الامور في حكم السياسة وتدبير الناس ان يحبب

بما لا نقره منه ولا مطعن عليه فيه ^(١) .
ومن قرأ كلام الشريف في هذه المسألة وجد في نفسه حاجة ان يقول : وان صرفت الخلافة بسبب من الأسباب عن الامام علي بن ابي طالب ، واصبح معرضـاً لما ذكره الشريف من الأذى والضر والقتل ، فلماذا لم يقتل ؟ قال ابن ابي الحميد : سألت النقيب ابا جعفر فقلت له : اني لأنجح من علي (ع) كيف بقي تلك المدة الطويلة بعد رسول الله (ص) وكيف لم يقتل ولم يفتنه به في جوف منزله مع تلظي الاكباد عليه ؟ فقال :

« لولا انه ارغم افه بالتراب ووضع خده في حضيض الأرض لقتل ولكنه اخل نفسه واشتغل بالعبادة والصلوة والنظر في القرآن وخرج عن ذلك الذي الاول وذلك الشعار ونسي السيف وصار كالغافاتك يشوب ويصير سائحاً في الأرض او راهباً في الجبال ، ولما اطاع القوم الذين ولوا الأمر تركوه وسكتوا عنه ولم تكن العرب لتقدم عليه الا بخواطأة من متولى الأمر وباطن في السر منه فاما لم يكن لولاة الأمر باعث وداع الى قتله وقع الامساك عنه ولولا ذلك لقتل ، ثم الأجل بعد مقتل حسين » .

(١) شرح نهج البلاغة « ج ٢ ص ٤٧٤ - ٨ » .

قال ابن أبي الحديد : فقلت له أحق ما يقال في حديث خالد (١) ؟
 فقال « إن قوماً من الملوين يذكرون ذلك ، وقد روي ان رجلاً
 جاء إلى زفر بن المذيل صاحب أبي حنيفة فسأله عما يقول أبو حنيفة
 في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم نحو الكلام والفعل
 الكثير أو الحديث . فقال زفر انه جائز ، قد قال ابو بكر في تشهده
 ما قال . فقال الرجل : وما الذي قاله ابو بكر ؟ قال : لا عليك فأعاد
 الرجل عليه السؤال ثانية وثالثة ، فقال زفر : اخرجوه اخرجوه ،
 قد كنت احدث انه من اصحاب ابي الخطاب » .

قال ابن أبي الحديد : قلت للشريف ابي جعفر « ما الذي تقوله
 انت ؟ » . قال : « انا استبعد ذلك وان روتة الامامية ، اما خالد بن
 الوليد فلا استبعد منه الاقدام على علي لشجاعته في نفسه ولبعضه
 ايها ولكنني استبعده من ابي بكر فانه كان ذا ورع ولم يكن ليجمع
 بين اخذ الخلافة ومنع فدكه واغضاب فاطمة وقتل علي (ع) حاش
 الله من ذلك » .

(١) يعني الخبر الذي زعم فيه ان ابا بكر وخالد بن الوليد اثمرا بعلی
 بن ابي طالب لقتلاه وهو يصلی ، تم بما لا يبي بكر فقال في أثناء تشهده
 قوله امر به خالداً أن لا يفعل ما اتفقا عليه .

قال ابن أبي الحميد : فقلت له « أكان خالد يقدر على قتل علي؟ »
قال : « نعم ولم لا يقدر على ذلك والسيف في عنقه وعلى اعزل غافل
عما يراد به ، قد قتله ابن ملجم غية ، و خالد اشجع من ابن ملجم ». .
فسألته عما ترويه الامامية في ذلك كيف الفاظه فضحك وقال « كم
عالم بالشيء وهو يسائل » ثم قال : دعنا من هذا ، ما الذي تحفظ في
هذا المعنى ؟ قلت : قول أبي الطيب المتنبي :

نَحْنُ أَدْرِى وَقَدْ حَلَّنَا بِنَجْدٍ أَقْصِيرٌ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ
وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقٌ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلٌ
فَأَسْتَحْسِنُ ذَلِكَ وَقَالَ : لِمَنْ عَجَزَ الْبَيْتُ الَّذِي اسْتَشَهِدَتْ بِهِ ؟ قَلْتَ :
لَحْمَدُ بْنَ هَانِيَ الْمَغْرِبِيِّ وَأَوْلَاهُ :

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَسْتَزِيدُ تَجَارِبًا كَمْ عَالَمَ بِالشَّيْءٍ وَهُوَ يَسْأَلُ
فَبِارِكَ عَلَيَّ سَرَادٌ أَمْ قَالَ : قَرَّكَ الْآنَ هَذَا وَنَتَمَّ مَا كَنَا فِيهِ .
وَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ « جَهَرَةُ النَّسْبِ » لَابْنِ الْكَلْبِيِّ ،
فَعَدْدًا إِلَى الْقِرَاءَةِ وَعَدْدًا عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا كَانَ اعْتَرَضَ الْحَدِيثَ فِيهِ (١) .

(١) شرح نوح البلاغة « ج ٣ ص ٢٨٣ » .

أفضلية علي

وقال النقيب لتميذه « فما يقول اصحابكم في الشیخین ؟ » قال
« اما الذي استقر عليه رأى المعنزة بعد اختلاف كثير بين قدماه
في التفضيل وغيره فأن علياً أفضلاً الجماعة وأنهم تركوا الأفضل لمصلحة
رأوها وانه لم يكن هناك نص يقطع القوْض وانما كان اشارة وابعاء
لا يتضمن شيء منها صريح النص وان علياً نازع ثم بايع وجح ثم
استجاب ولو أقام على الامتناع لم نقل بصحبة البيعة ولا بلزومها . ولو
جرد السيف كما جرده في آخر الأمر لقلنا بفسق كل من خالقه على
الاطلاق كائناً من كان ولكنه رضي بالبيعة آخرأ ودخل في الطاعة ،
وبالجملة أصحابنا المعنزة يقولون : ان الأمر كان له وكان هو المستحق
والمعين فأن شاء اخذ لنفسه وان شاء ولاه غيره فلما رأينا قد وافق
على ولایة غيره اتبناه ورضينا بما رضي » .

فقال النقيب لتميذه « قد بي بيوني وبينكم قليل ، انا اذهب
إلى النعم واثم لا تذهبون اليه » فقال له ابن ابي الحديد « انه لم
يثبت النعم عندنا بطريق يوجب العلم وما تذكرون انتم صريحاً فأنتم
تنفردون بنقله وما عدا ذلك من الأخبار التي نشاركم فيها فلها

تاویلات معلومة » .

فقال له النقیب وهو ضمیر « يا عبد الحمید لوقتھنا باب التأویلات
لماز ان فتاول قولنا : لا إله الا الله محمد رسول الله . دعنى من
التأویلات الباردة التي تعلم القلوب والنفوس انما - اغیر مراده وان
المتكلمين تکلفوها وتسفوها ، فاما انت وانا في الدار ولا ثالث بیننا
فيستحبی احدنا من صاحبه او يخافه » .

قال ابن ابی الحدید « فلما بلغنا الى هذا الموضوع دخل قوم من
كان يخشى فترکنا ذلك الاسلوب من الحديث وحضرنا في غبره (۱) » .
قال ابن ابی الحدید : وسألت النقیب أبا جعفر رحیم بن محمد بن
ابی زید - رح - قلت : أتقول لو ان حزنة وجعراً كانوا حيين يوم
مات رسول الله (ص) كانوا يبايعان علياً بالخلافة ؟ فقال : نعم . كانوا
اسرع الى بیعته من النار الى المرفع . فقلت : أظن جعراً كان
يبايعه ويتابعه وما أظن حزنة كذلك واراه جباراً قوي النفس شدید
الشکیمة ذاهباً بنفسه شجاعاً بهمة وهو العم والأعلى سنماً وآثاره في
الجهاد معروفة واظنه كان يطلب الخلافة لنفسه . فقال :

« الأمر في أخلاقه وسجاياه كما ذكرت ولكنك كان صاحب دین

(۱) شرح النجع « ج ۲ ، ص ۵۷۷ . »

متين وتصديق خالق رسول الله (ص) ولو عاش رأى من احوال على
(ع) مع رسول الله (ص) ما يوجب ان يكسر له نخوهه وان يقيم
له صوره وان يقدمه على نفسه وان يتلوى رضي الله ورضا رسوله
فيه ، وان كان بخلاف اياته . اين خلق حمزة السباعي من خلق علي
الروحاني اللطيف الذي جمع بينه وبين خلق حمزة فتصفت بهما نفس
واحدة وأين هيولانية نفس حمزة وخلوها من المعلوم من نفس علي
القدسية التي أدركت بالفطرة لا بالقوة التعلميمية ما لم تدركه نفوس
مدققون الفلاسفة الآلهيين ؟ ولو ان حمزة حي حتى رأى من على ما رأه
وغيره لكان اتبع له من ظله وأطوع له من ابي ذر والمقداد ، وأما
قولك : هو العم والأعلى سنًا فقد كان العباس العم والأعلى سنًا وقد
عرفت ما بذله له ونفعه اليه ، وكان أبو سفيان كالعم وكان أعلى سنًا
وقد عرفت ما عرضه عليه . مازالت الأعمام تخدم ابناء الاخوة
وتكون اتباعاً لها ، است ترى دواد بن علي وعبد الله بن علي وصالح
بن علي وسلیمان بن علي وعيسى بن علي واستعمايل بن علي وعبدالصمد
بن علي خدموا ابن أخيهم وهو عبدالله السفاح بن محمد بن علي
وابيده وتابعوه وكانوا أمراء جيوشه وأنصاره وأعواذه ، است
ترى حمزة والعباس اتبعوا ابن أخيها (ص) وأطاعاه ورضيوا برئاسته

وصدق دعوته ؟ الست نعلم ان أبا طالب كان رئيس بنى هاشم وشيخهم
 والمطاع فيهم وكان محمد (ص) يتيمه ومكفوله وجارياً مجرى أحد اداراته
 عنده ثم خضم له واعترف بصدقه ودان لأمره حتى مدحه بالشعر
 كما يمدح الأدنى الأعلى ؟ وان سراً اختص به محمد (ص) حتى اقام أبا
 طالب وحاله منه حالة مقام المادح له لسر عظيم وخاصية شريفة وان في
 هذا المعتبر عبرة ان يكون الانسان الفقير الذي لا أنصار له ولا أعاوان
 معه ولا يستطيع الدفاع عن نفسه فضلاً عن أن يقهر غيره تعمل
 دعوته وأقواله في الأنفس ما تعلمه الخر في الأبدان المعتدلة المزاج
 حتى تطيعه أعمامه ويلطممه صربيه وكافله ومن هو الى آخر عمره القيم
 بتفقهه وغذاء بدقه وكسوة جسده حتى يمدحه بالشعر كما يمدح الشعراء
 الملوك والرؤساء . وهذا في باب المعجزات عند المنصف أعظم من
 الشناق القمر وانقلاب المعا ومن إنباء القوم بما يأكلون وما يدخلون
 في بيورهم » .

«كيف قلت : أظن جنفراً كان يبايعه ويتابعه ولا أظن في حزنة
 ذلك ؟ ان كنت قلت ذلك لأنه أخوه فإنه أعلى منه سنًا هو أكبر من
 على بعشر سنين ، وقد كانت له خصال عص ومناقب كثيرة وقال فيه
 النبي (ص) قولًا شريفاً اتفق عليه المحدثون ، قال له لما افتخر هو

وعلى وزيد بن حارثة ونحنا كوا الى رسول الله (ص) : أشبهت خلقي
وخلقي . فخجل فرحاً ثم قال لزيد : أنت مولانا وصاحبنا . فخجل أيضاً
ثم قال لعلي : أنت أخي وخالصتي . فلم يخجل كأن ترا دفع التمعظ به
وتكرره عليه لم يجعل عنده للقول ذلك الموضع وكان غيره اذا عظم
عظمًا (كذا) نادرًا فيحسن موقفه عنده . واختلف الناس في أي
المحدثين أعظم (١) .

٤ - مشابهة أحوال علي لأحوال النبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

قال ابن أبي الحديد في كلام له ذكر فيه سياسة الرسول (ص)
وسياسة عمر وعلي : « فان قلت : فما قولك في سياسة الرسول (ص)
وتدبيرهليس كان منتظماً سديداً مع انه كان لا يعمل الا بالنصوص
والتوقيف بالوحي ، فهلا كان تدبير علي (ع) وسياسته كذلك اذا
قلتم انه كان لا يعمل الا بالنص ؟ » .

وقد أجاب ابن أبي الحديد نفسه عن ذلك بأن الرسول (ص) كان
يجهد في سياسته ، وكان يجوز لعلي أن يجهد ثم قال « والسؤال
أيضاً ساقط على هذا المذهب لأن اجتهاد علي (ع) لا يساوي اجتهاد

(١) شرح النهج « ج ٣ ، ص ٣٨ - ٣٩ »

النبي (ص) وبين الاجتهدتين كـما بين المتراتبين » .
 قال : وكان أبو جعفر ابن أبي زيد الحسني فقيب البصرة (رح)
 اذا حدثنا في هذا يقول :

« انه لا فرق عند من قرأ السيرتين بين سيرة النبي (ص) وسياسة
 أصحابه أيام حياته وبين سيرة أمير المؤمنين (ع) وسياسة أصحابه
 أيام حياته ، فـكـان عليـاً لم يـزـل أـمـرـهـ مضـطـرـاًـ مـعـهـمـ بالـخـالـفـةـ
 والـعـصـيـانـ وـالـهـرـبـ إـلـىـ أـعـدـائـهـ وـكـثـرـةـ الفـتنـ وـالـحـرـوبـ فـكـذـلـكـ كانـ النـبـيـ
 (ص) لم يـزـلـ مـنـنـوـاـ بـنـفـاقـ الـمـنـافـقـينـ وـأـذـاهـمـ وـخـلـافـ أـصـحـاـبـهـ عـلـيـهـ ،
 وـهـرـبـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ اـعـدـائـهـ وـكـثـرـةـ الـحـرـوبـ وـالـفـتنـ ، أـلـسـتـ تـرـىـ الـقـرـآنـ
 الـعـزـيزـ مـمـلـوـهـ بـذـكـرـ الـمـنـافـقـينـ وـالـشـكـوـيـ منـهـمـ وـالتـأـلـمـ مـنـ أـذـاهـمـ لـهـ (١)
 كـماـ انـ كـلامـ عـلـيـ مـمـلـوـهـ بـالـشـكـوـيـ منـ مـنـافـقـيـ أـصـحـاـبـهـ وـالتـأـلـمـ مـنـ أـذـاهـمـ
 وـالـتـوـأـئـمـ عـلـيـهـ ... وـهـمـ الـذـيـنـ التـوـرـاـ عـلـيـ النـبـيـ فـيـ الـحـرـبـ بـوـمـ بـدرـ وـكـرـهـوـاـ
 لـقـاءـ الـعـدـوـ حـتـىـ خـيـفـ خـذـلـهـمـ وـذـلـكـ قـبـلـ أـنـ قـتـاءـيـ الـفـيـقـةـانـ وـأـقـلـ
 فـيـهـمـ « يـجـادـلـونـكـ فـيـ الـحـقـ بـعـدـمـاـ تـبـيـنـ ، كـأـنـمـاـ يـسـاقـونـ إـلـىـ الـمـوـتـ وـهـمـ

(١) قال : « وـذـلـكـ نـحـوـ قـولـهـ تـعـالـىـ : أـلـمـ تـرـ إـلـىـ الـذـيـنـ نـهـواـ عـنـ النـجـوـيـ
 ثـمـ يـمـوـدـونـ لـمـاـ نـهـواـ عـنـهـ ، وـيـتـنـاـجـوـنـ بـالـأـتـمـ وـالـمـدـوـانـ وـمـعـصـيـةـ الرـسـوـلـ ...ـ
 وـذـكـرـ عـدـةـ آـيـاتـ بـيـنـاتـ .ـ

ينظرون » . وهم الذي كافوا يقعنون لقاء العدو حتى أنهم ظفروا برجلين في الطريق فسألوها عن العير ، فقالا : لا علم لنا بها وأنما رأينا جيش قريش من وراء ذلك الكثيب . فضربوها ورسول الله (ص) قائم يصلي . فلما إذا قام الضرب قالا : بل العير أمامكم فاطبوها . فلما رفعوا الضرب عنها قالا : والله ما رأينا العير ولا رأينا إلا الخيل والسلاح والجيش . فأعادوا الضرب عليهما مرة ثانية . فقالا ، وها يضربان : العير أمامكم خلو عننا . فانصرف رسول الله (ص) من الصلاة ، وقال : اذا صدقكم ضربتموها وادركنكم خليط عنها ، دعوها فارأيا الا جيش اهل مكة . وأنزل قوله تعالى « واذ يمدكم الله احدى الطائفتين أتها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر السكافرين » . قال المفسرون : الطائفتان العير ذات الطيبة الواصلة الى مكة من الشام صحبة أبي سفيان بن حرب وبها كان خروج المسلمين والآخرى الجيش ذو الشوكة ، وكان (ص) قد وعدهم ب احدى الطائفتين فكرهوا الحرب وأحبوا النسبية » .

« وهم الذي فروا عنه (ص) يوم أحد وأسلموه وأصدوا في الجبل ، وتركوه حتى شج الأعداء وجهه وكسروا ثنيته وضربوه على

بيضته حتى دخلت جحيمه ووقع من فرسه إلى الأرض بين القتلى وهو يستصرخ بهم ويدعوهم فلا يجيبه أحد منهم إلا من كان جارياً مجرى نفسه وشديد الاختصاص به ، وذلك قوله تعالى « اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في آخركم » أي ينادي فيسوع نداءه آخر الهاريين لا أو لهم لأن أو لهم أو غلوا في الفرار وبعدهم عن أن يسمعوا صوته وكان قصارى الأسر أن يبلغ صوته واستصراره من كان على ساقه الهاريين .

« ومنهم الذين عصوا أمره في ذلك اليوم حيث أقامهم على الشعب في الجبل وهو الموضع الذي غاف أن تذكر عليه منه خيل العدو من وراءه ، وهم أصحاب عبد الله بن جبير قاتلهم خالفوا أمره وعصوه فيما تقدم به إليهم ورغبوا في الغنيمة ففارقوه سرکزهم حتى دخل الوهن على الاسلام بطريقهم لأن خالد بن الوليد كفى عصابة من الخليل فدخل من الشعب الذي كانوا يحرسونه فكانت الهزيمة وذلك قوله تعالى « حتى غشوهم بالسيوف من خلفهم فكانت الهزيمة وذاك قوله تعالى « حتى اذا فشلم وتنازعم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما نحبون ، منكم من يربى الدنيا ومنكم من يربى الآخرة » .

« وهم الذين عصوا أمره في غزاة تبوك بعد أن أبد عليهم

الأوامر وخذلوه وترکوه ولم يشخصوا مهـ فأنزل فيهم « يا أيها
الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انافقتم الى
الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متع الحياة الدنيا في
الآخرة القليل ، إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم
ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قادر ». وهذه الآية خطاب مع
المؤمنين لا مع المنافقين وفيها أوضح دليل على أن أصحابه وأولياءه
المصدقين لدعوه كانوا يعصموه ويخلفوه زأمره واكده عتاتهم وتقريرهم
وتوبتهم بقوله تعالى « لو كان عرضاً قريباً وسفراً فاصدأ لا تبعوك
ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا خرجنا ممكم ،
يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لڪاذبون ». ثم عاتب رسول الله
(ص) على كونه أذن لهم في التخلف وإنما أذن لهم لعلمه أنهم لا يحببونه في
الخروج فرأى أن يجعل الملة به عليهم (سبباً) إلى الأذن لهم وإلا قدموا
ولم تحصل له الملة . فقال « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبيّن لك
الذين صدقوا ونعلم السكاذبين » أي هلا أمسكت عن الأذن لهم حتى
يتبيّن لك قعود من يقعد وخروج من يخرج ، وصادقهم من كاذبهم
لأنهم كانوا قد وعدوه بالخروج معه كلهم وكان بعضهم ينوي الفدر
وبعضهم يعزّم على أن يخليس بذلك الوعد ، فلو لم يأذن لهم لعلم من

يختلف ومن لا يختلف ، فعرف الصادق منهم والكاذب ثم بين سبعاً منه
وتعالى أن الذين يستأذنونه في التخلف خارجون من الإعان فقال له
« لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم والله عالم بالمتقين ، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم
الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ربهم يترددون » .

« ولا حاجة إلى التطويل بذكر الآيات المفصلة فيها يناسب هذا
المعنى ، فمن تأمل الكتاب العزيز علم حال النبي (ص) مع أصحابه كيف
كانت ، ولم ينقم الله تعالى إلى جواره إلا وهو مع المنافقين له
والظاهرين خلاف ما يضرون من تصديقه في جهاد شديد حتى لقد
كشفوه صراراً فقال لهم يوم الحديبية « احلقوا وأنحروا » صراراً
فلم يحلقوه ولم ينحروا ولم يتحرك أحد منهم عند قوله ، وقال له
بعضهم وهو يقسم الغنائم « اعدل يا محمد فإنك لم تعدل » . وقالت
الأنصار له مواجهة يوم حنين « أتأخذ ما أفاء الله علينا بسيوفنا
فتدفعه إلى أقاربك من أهل مكة ؟ » . حتى أفضى الأمر إلى أن قال
لهم في صرض موته « ائتوني بدواه وكتف اكتب لكم ما لا تضلون
بعده » . فهم صدّوه ولم يأتوه بذلك ولن يتم اقتضاؤه على عصيانه ولم
يقولوا له ما قالوا وهو يسمع » .

وكان أبو جعفر (رج) يقول من هذا ما يطول شرحه والقليل
ينبئ عن السكير وكان يقول :

« من تأمل حال الرجلين النبي (ص) وعلى وجلدها متشابهتين في
جميع أمورها أو في أكثرها وذلك لأن حرب رسول الله (ص) مع
المشركيين كانت سجالاً، انتصر يوم بدر وانتصر المشركون عليه يوم
أحد وكان يوم الخندق كفافاً خرج هو وسواء لا عاليه ولا له
لأنهم قتلوا رئيس الأوس وهو سعد بن معاذ وقتل منهم فارس قريش
وهو عمرو بن عبدود وانصر فوا عنه بغیر حرب بعد تلك الساعة التي
كانت ثم حارب بعدها قريشاً يوم الفتح فكان الظفر له وهكذا كانت
حروب علي (ع) انتصر يوم الجمل وخرج الأمر بينه وبين معاوية
على سواء في صفين قتل من اصحابه رؤساء ومن اصحاب معاوية
رؤساء وانصرف كل واحد من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب على
مكانه ثم حارب بعد صفين أهل النهر وان فكان الظفر له ، ومن العجب
أن أول حروب رسول الله (ص) كانت بدرًا وكان هو المنصور فيها
وأول حروب علي الجمل وكان هو المنصور فيها ثم كان من صحيفته
الصلح والحكومة يوم صفين نظير ما كان من صحيفته الصلح والهدنة
يوم الحديبية ثم دعا معاوية في آخر أيام علي نفسه وتسمى بالخلافة

كما أن مسيحة والأسود العذسي دعوا إلى أنفسها في آخر أيام رسول الله (ص) وقسميا بالنبوة ، واشتد على علي ذلك كما اشتد على رسول الله (ص) أمر الأسود ومسيحة وأبطل الله أمرها بعد وفاة النبي (ص) وكذلك أبطل أمر معاوية وبني إمية بعد وفاة علي ولم يحارب رسول الله (ص) أحد من العرب إلا قريش ما عدا يوم حنين ولم يحارب عليهما من العرب أحد إلا قريش ما عدا يوم التهروان ومات علي شهيداً بالسيف ومات رسول الله (ص) شهيداً بالسم وهذا لم يتزوج على خديجة أم أولاده حتى ماتت وهذا لم يتزوج على فاطمة أم أشرف أولاده حتى ماتت ، ومات رسول الله (ص) عن ثلاثة وستين سنة ومات علي عن مثلها .

«انظروا إلى أخلاقها وخصائصها هذا شجاع وهذا شجاع وهذا فضيع وهذا فضيع وهذا سخي جواد وهذا سخي جواد وهذا عالم بالشرع والأمور الالهية وهذا عالم بالفقه والشريعة والأمور الالهية الدقيقة الدامضة ، وهذا زاهد في الدنيا غير نهم عليها ولا مستكثر منها وهذا زاهد في الدنيا تاركها غير متمنع بذلكها وهذا مدح نفسه في الصلاة والعبادة وهذا مثله وهذا غير محبب اليه شيء من الأمور العاجلة إلا النساء وهذا مثله وهذا ابن عبد المطلب بن هاشم ،

(١) شرح نهج البلاغة « ج ٢ ، ص ٥٦٢ - ٥٧٦ ». .

٥ - سياسة علي في الحال والمآل

من كلام الامام علي في الرد على من نسب اليه قلة الدهاء وتركه التدبير « والله ما ماماواية بأدھي مني ولكنھ يغدر ويتجز ولولا كراھیة الغدر لسكنت من أدھي الناس ولكن كل غدرة خبرة ولكل خبرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة ، والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغفز بالشديدة » (١) .

قال النقيب يحيى بن أبي زيد : « ولو ان عليا صانع اصحابه بالمال واعطاه الوجه والرؤساء لكان أمره الى الاتظام والاطراد اقرب ولكن رفض جانب التدبير الديني وآخر لزوم الدين وتنسّك بأحكام الشريعة ، والملك امر آخر غير الدين فاضطرّب عليه اصحابه وهرب كثير منهم الى العدو » (٢) .

٦ - لماذا أحب الناس علي بن أبي طالب

قال ابن أبي الحميد : قلت للنقيب ابي جعفر يحيى بن ابي زيد مرة « ما سبب حب الناس لعلي بن ابي طالب وعشاقهم له ونهاكم

(١) شرح نهج البلاغة « ج ٢ ، ص ٥٢٢ - ٥٢٦ . »

(٢) المرجع المذكور « ج ٢ ، ص ١١٩ . »

في هواه؟ ودعني في الجواب من حديث الشجاعة والعلم والفصاحة.
وغير ذلك من الأخصاًص التي رزقه الله سبحانه الكثير الطيب منها^٤.

^۱ فضحک وقال لي «كم تجمم جراميزك علي ؟» ثم قال :

«ههنا مقدمة ينبعي ان تعلم وهي ان اكثرا الناس متورون في الدنيا ، اما المستحقون فلا ريب فيه ان اكثراهم محرومون نحو عالم يرى انه لاحظ له في الدنيا ، ويرى جاهلاً غيره مزوفاً وموسعاً عليه ، ونحو شجاع قد ابلى في الحرب وانتقم بوضعه وليس له عطاء يكفيه ويقوم بضروراته ويرى غيره - وهو جبان فشل يفرق من ظله - مالكاً لقطر عظيم من الدنيا وقطعة وافرة من المال والرزق ، ونحو عاقل سديد التدبير صحيح المقل قد قدر عليه رزقه وهو يرى غيره احمق مائفاً تدر عليه الخيرات وتتحلبه عليه اخلاق الرزق ونحو ذي دين قويم وعبادة حسنة واخلاص وتوحيد وهو محروم ضيق الرزق ويرى غيره يهودياً او نصراانياً او زنديقاً كثيراً المال حسن الحال ، حتى إن هذه الطبقات المستحقة يحتاجون في اكثر الاوقات الى الطبقات التي لا استحقاق لها وتدفع لهم الضرورة الى النيل لهم

(١) يقال : أقى عليه جراميزه أي نقله وقرب منه قول النقيب المذكور
ومعنى أنه حتم تكلفني نقل مسالك ؟

والمحضو ع بين أيديهم اما الدفع ضرر او الاستجلاب نعم . ودون هذه الطبقات من ذوي الاستحقاق ايضاً ما تشاهد عياناً من نجاح حاذق او بناء عالم او نقاش بارع ، او مصور لطيف على غاية ما يكون من ضيق رزقهم وقعود الوقت بهم وقلة الحيلة لهم وفري غيرهم من ليس بجري مجراهم ولا يلحق طبقتهم صرزاً وفاً مرغوباً فيه ، كثير المكسب طيب العيش واسع الرزق ، فهذا حال ذوي الاستحقاق والاستعداد واما الذين ليسوا من اهل الفضائل كحشوا العامة فانهم ايضاً لا يخلون من الحقد على الدنيا ، والذم لها والحنق والغينظ لما يلتحقهم من حسد امثالهم وجيرانهم ولا يرى احد منهم قائمًا بعيشة ولا راضياً بحاله بل يستزيد ويطلب حالاً فوق حاله » .

« فاذا عرفت هذه المقدمة فعلوم ان علياً كان مستحقاً محروماً ، بل هو امير المستحقين المحروم وسيدهم وكبيرهم ومعالوم ان الذين ينادهم الضيم وتلتحقهم المذلة والمضيمة يتغصب بعضهم لبعض ويكونون الباقي واحدة على المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا و قالوا ما زبهم منها لاشراكهم في الامر الذي آلمهم وسادهم ، وغضبهم ومحضهم واشتراكهم في الأفة والحبة والغضب والمنافسة لمن علا عليهم وفهراهم وبلغ من الدنيا ما لم يبلغوه » .

«فَإِذَا كَانَ هُؤُلَاءِ - اغْنِيَ الْمُحْرُومِينَ - مَتَسَاوِينَ فِي الْمَزْنَةِ وَالْمَرْتَبَةِ وَتَعَصُّبُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فَإِذَا ظَنَكَ بِمَا إِذَا كَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ عَظِيمٌ الْقَدْرُ جَلِيلُ الْخَطْرِ كَامِلُ الشَّرْفِ، جَامِعٌ لِلْفَضَائِلِ، مَحْتُوٌ عَلَى الْخَصَائِصِ وَالْمَنَاقِبِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَحْرُومٌ مُحَدُّودٌ، وَقَدْ جَرَعَتْهُ الدُّنْيَا عَلَاقَةً، وَعَلَتْهُ عَلَلاً بَعْدَ هَلْ مِنْ صَاحِبِهَا وَصَبْرِهَا وَلَتَيْ مِنْهَا بِرْ حَمَّاً بَارِحَمَا وَجَهِدَأَ جَهِيدَأَ وَعَلَّا عَلَيْهِ مِنْهُ دُونَهُ وَحَكَمَ فِيهِ وَقَيَّ بَيْتَهُ وَأَهْلَهُ وَرَهْطَهُ مِنْ لَمْ يَكُنْ مَا نَالَهُ مِنْ الْأَمْرَةِ وَالسُّلْطَانِ فِي حِسَابِهِ وَلَا دَائِرَأَ فِي خَلْدِهِ وَلَا خَاطِرَأَ بِيَاهِهِ وَلَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَرْتَقِبُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَرَاهُ لَهُ ثُمَّ كَانَ فِي آخِرِ الْأَمْرِ إِذْ قُتِلَ هَذَا الرَّجُلُ الْجَلِيلُ فِي مَحَرَابِهِ وَقُتِلَ بْنُوهُ بَعْدَهُ وَسِيَ حَرِيَّهُ وَنَسَاؤُهُ وَتَتَبَعُ أَهْلُهُ وَبْنُو عَمِّهِ بِالْقُتْلِ وَالْطَّرْدِ وَالتَّشْرِيدِ وَالسِّجْنِ مَعَ فَضْلِهِمْ وَزَهْدِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ وَسُخْنَاهُمْ وَاتِّفَاعِ الْخَلْقِ بِهِمْ، فَهَلْ يَكُنْ إِنْ لَا يَتَعَصَّبُ الْبَشَرُ كُلُّهُمْ مَعَ هَذَا الشَّخْصِ وَهُلْ تَسْتَطِعُ الْقُلُوبُ إِنْ لَا تُنْهِبَهُ وَلَا تُهْرَأَهُ وَلَا تَذَوَّبَ فِيهِ، وَلَا تَقْنَى فِي عَشْقِهِ إِنْ تَصَارَأَ لَهُ وَجْهِيَّةُ مِنْ أَجْلِهِ وَافْقَهَ مَا نَالَهُ وَامْتَعَاضَ مَا جَرَى عَلَيْهِ؟ وَهَذَا امْرُ مَرْكُوزٍ فِي الطَّبَائِعِ وَمَخْلوقٍ فِي الْفَرَائِزِ كَمَا يَشَاهِدُ النَّاسُ عَلَى الْجَرْفِ إِنْسَانًا قَدْ وَقَعَ فِي الْمَاءِ الْعَمِيقِ وَهُوَ لَا يَجْسُنُ السَّبَاحَةِ قَاتِلُهُمْ بِالْطَّبِيعِ الْبَشَرِيِّ يَرْقُونَ عَلَيْهِ رَقَّةً شَدِيدَةً وَقَدْ يَلْقَى قَوْمٌ مِنْهُمْ

انفسهم في الماء نحوه ، يطلبون تخلصه ولا يتوقفون على ذلك بجازة منه بحال او شكر ولا ثواب في الآخرة فقد يكون منهم من لا يعتقد امر الآخرة ولكنها رقة بشرية ، وكان الواحد يتخيل في نفسه انه ذلك الفريق فكما يطلب خلاص نفسه لو كان هذا الفريق كذلك يطلب تخلص من هو في تلك الحال الصعبة للمشاركة الجنسية ، وكذلك لو ان ملوكاً ظلم اهل بلاد من بلاده ظلماً عنيفاً لكان اهل ذلك البلد يتغضب بعضهم البعض في الانتصار من ذلك الملك والاستعداد عليه فلو كان من جلتهم رجل عظيم القدر جاير الشأن وقد ظلمه الملك اكثر من ظلمه ايام واخذ امواله وضياعه وقتل اولاده واهله كان لياذهم به والضوائهم اليه واجتهاعهم والتفافهم به اعظم واعظم لأن الطبيعة البشرية تدعو الى ذلك على سبيل الایجاب الاضطراري ولا يستطيع الانسان منه امتياعاً (١) .

قال ابن أبي الحديد : « هذا مخصوص قول النقيب أبي جعفر (رح) قد حكىته والألفاظ لي والمعنى له ، لافي لا احفظ الآن الفاظه بعينها الا ان هذا هو كان معنى قوله و فهو اوه ». .

(١) شرح نهج البلاغة (ج ٢، ص ٥٧٦ - ٤٧).

٧- نصرة على النبي (صلوات الله عليه) وتنظيمه إياها

قال : « ومن اين لغيره من الصحابة كلام مدون يعلم منه كيفية ذكرهم للنبي (ص) وهل وجد لهم الا كلامات مبتددة لا طائل تختتمها ؟ اذ علياً كاذ قری الایمان برسول الله (ص) والتصديق له ، ثابت اليقين ، فاطماً بالامر متحففة له ؛ وكان مع ذلك يحب رسول الله (ص) لمحبيته منه وتربيته له واحتياطاته به ، من دون اصحابه ، وبعد فشرقه له لانها نفس واحدة في جسمين : الاب واحد والدار واحدة والاخلاق متناسبة فإذا عظمه فقد عظم نفسه وإذا دعا اليه فقد دعا

(١) أشار إلى قوله كافي نهيج البلاغة في ذكر النبي (ص) « اللهم اقسم له بعضاً من عدליך ، وأجزه بضعهات الخير من فضلك ، اللهم وأعل على بناء البالذين بناءه وأكرم لديك نزله وشرف عندهك منزلته وآتاه الوسيلة وأعطه السناء والفضيلة وأحيثنا في ذرته غير خزابا ولا نادمين ولا ناكبها ولا ناكفين ولا مذلين ولا مفتونين » .

إلى نفسه ، ولقد كان يود أن تطبق دعوة الإسلام مشارق الأرض
ومغاربها ، لأن جمال ذلك لا حق به وعائد عليه فكيف لا يعظمه ولا
يبيجهه ولا يجده في أعلاه كنته ؟ .

قال ابن أبي الحديد : فقلت له « قد كنت اليوم انا وجمفر بن مكي (١) الشاعر، تتجاذب هذا الحديث فقال جمفر : لم ينصر رسول الله (ص) احد لفترة ابي طالب وبنيه له ، اما ابو طالب فكفله ورباه ثم حمّاه من قريش عند اظهار الدعوة بعد اصفاقهم واطباقةهم على قتلته واما ابنه جمفر فهاجر بجماعة من المسلمين الى ارض الحبشة فنشر دعوته بها واما علي فانه اقام عماد الملة بالمدينة ثم لم يحل أحد من القتل والهوان والتشريد بما مني به بنو ابي طالب . اما جمفر فقتل يوم هـّة واما علي فقتل بالکوفة بعد ان شرب نقيع الحنظل وتغنى الموت ولو تأخر قتل ابن ملجم له ممات أسفأ وكمدا ثم قتل ابناء الحسن والحسين بالسم والسيف وقتل بنوه الباقيون مع أخيهم بالطف وحملت نسائهم على الاقتات سبابا الى الشام ولقيت ذريتهم وأخلاقفهم بعد ذلك من القتل والصلب والتشريد في البلاد والهوان والحبس والضرب مالا يحيط الوصف بكثنه ، فأي خير اصاب هذا المبيب من نصرته

(١) من أعيان الشافعية توفي سنة ٦٢٩ .

ومحبته وتعظيمه بالقول والفعل؟».

فقال النقيب (رح) واصاب فينا قال «هلا قلت : يعنون عليك
ان اسلموا ، قل لا تعنوا علي اسلامكم بل الله عن عليكم ان هداكم
لليهان ان كنتم صادقين . وهلا قلت له : فقد نصرته الانصار وبذلت
مهجاً دونه وقتلت بين يديه في مواطن كثيرة وخصوصاً يوم احد
ثم اهتضموا بعده واستؤثر عليهم ولقوا من المشاق والشدائد ما
يطول شرحة ولو لم يكن الا يوم المحرقة فانه اليوم الذي لم يكن في
العرب مثله ولا اصييب قوم بمثل ما اصييب به الانصار ذلك اليوم .
ان الله زوى الدنيا عن صالحها عباده وأهل الاخلاق له لانه لم يرها
عما اسبادتهم ولا كفوا لاخلاصهم وأرجأ جزاءهم الى دار اخرى غير
هذه الدار ، في مثلها يتنافس المتنافسون (١)».

٨ - لماذا لم يقتل علي ليلاً الهجرة ؟

قال ابن ابي الحميد : وسألت النقيب أبا جعفر رحبي بن ابي زيد
الحسني (رح) فقلت « اذا كانت قريش قد محضت رأيها والتقي اليها
ابليس - كاردي - ذلك الرأي وهو ان يضر بوا النبي (ص) بأسياف

(١) شرح هوج البلاغة «ج ٢ ، ص ٤٢٠ .

من ايدي جماعة من بطون مختلفة ليغفيع دمه ، في بطون قريش ، فلا
طلب به بنو عبد مناف ، فلماذا انتظروا به تلك اليميلة الصبع ؟ فلن
الرواية جاءت بأنهم كانوا نسورة الدار فعابوا فيها شخصاً مسجى
بالبرد الحضرمي الأخضر فلم يشكوا انه النبي (ص) فرصدوه الى ان
اصبحوا فوجدوه علياً ، وهذا طريف لأنهم كانوا قد اجمعوا على قتله
تلك اليميلة ، فما بالهم لم يقتلو ذلك الشخص المسجى ؟ وانتظارهم به
دليل على انهم لم يكونوا ارادوا قتله تلك اليميلة » .

قال في الجواب « لقد كانوا هم من النهار بقتله تلك الليلة وكان إجماعهم على ذلك وعزمهم ^(٩) في حقه من بنى عبد مناف ، لأن الذين محضوا هذا الرأي واتفقوا عليه النضر بن الحارث من بنى عبد الدار وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام وزمعة بن الأسود بن المطلب ، هؤلاء الثلاثة من بنى اسد بن عبد العزى وأبو جهل بن هشام وأخوه الحارث وخالد بن الوليد بن المغيرة ، هؤلاء الثلاثة من بنى مخزوم ونبيه ومنبه ابن الحاجاج وعمرو بن العاص ،

(١) لعل الاصل « وحالفهم في عزهم في حقه قوم من بني عبد مناف ». أو « وعزم في حة-هـ قوم ... » أي غلبهم ومنهم أو « ولبسخ عزمهم في حقه قوم من بني عبد مناف ». .

هؤلاء الثلاثة من بنى سهم وامية بن خلف وأخوه أبي بن خلف ،
 هذان من بنى جعجع . فنمي هذا الخبر من الليل الى عتبة بن ربيعة بن
 عبد شمس فلقي منهم قوماً فنهاهم عنده ، وقال : ان بنى عبد مناف
 لا يمسك عن دمه ولكن صدقه في الحديد واحبسوه في دار من
 دور كم وترابصوا به ان يصيبيه من الموت مثل ما اصاب امثاله من
 الشعراه . وكان عتبة بن ربيعة سيد بنى عبد شمس ورئيسهم وهم من
 بنى عبد مناف ، وبنو عم النبي (ص) ورهطه ، فأحجم أبو جهل
 واصحابه تلك الليلة عن قتلها احجاماً ثم تصوروا عليه وهم يظلونه في
 الدار فلما رأوا إنساناً مسجى بالبرد الأخضر الخضراء لم يشكوا
 اه النبي (ص) واتئمروا في قتلها فكان أبو جهل يذصرهم عليه ، فيرونون
 ثم يمحمون ثم قال بعضهم لبعض : ارموه بالحجارة ، فرموه ، فحمل
 على يتهور منها ويقلب ويتأوه تأوهاً خفيفاً ، فلم يزالوا كذلك في
 أقدام عليه واحجام عنده لما يريده الله تعالى من سلامه على نجاته حتى
 أصبح وهو وقيد من رمي الحجارة » .

« ولو لم يخرج رسول الله (ص) الى المدينة وأقام بكة ولم يقتلوه
 تلك الليلة لقتلوه في الليلة التي تليها وان شبت الحرب بينهم وبين بنى
 عبد مناف كان أبو جهل لم يكن بالذى يمسك عن قتله وكان قادى البصيرة

شديد العزم على الولوغ في دمه ». ٢

قال ابن أبي الحديد : قالت المنقيب « أفعل رسول الله (ص) وعلى بما كان من نهي عتبة بن ربيعة لهم ؟ ». قال : « لا ، إنهم لم يعلما ذلك تلك الأليلة وإنما عرفاه من بعد ، ولقد قال رسول الله (ص) يوم بدر لما رأى عتبة وما كان منه « إن يكن في القوم خير في صاحب الجمل الآخر ». ولو قدرنا أن علينا علم ما قال لهم عتبة لم يحبط ذلك فضيلته في المبيت لأنّه لم يكن على ثقة من أنهم يقبلون قول عتبة بل كان ظن الهالك والقتل أغلب . وإنما (١) حال علي فلما أدى الودائع خرج بعد ثلاثة من هجرة النبي (ص) جاء إلى المدينة راجلاً قد تورمت قدماه فصادف رسول الله (ص) نازلاً بقباء على كلثوم ابن الهمد فنزل معه في منزله ، وكان أبو بكر نازلاً بقباء في منزل حبيب به إساف ... » .

٩ - نخل فدك وفداء أبي العاص

فدرك قرية بالحجاج بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، أفاءها الله (تعالى) على رسوله صلحًا فيها عين فواردة ونخل ، واخبارها

(١) لا نرى أمن كلام النقيب هذا أمن من كلام شارح نهج البلاغة

« ج ٣ ص ٢٨٥ » .

مستفيضة في كتب التاريخ ، وقد جرى عليها نزاع بعد وفاة النبي (ص) طالبت بها السيدة فاطمة بنت محمد (ص) فلم تعطها أخذًا بالحديث « أنا معاشر الأنبياء لا نورت ذهبًا ولا فضة ولا أرضاً ولا عذاراً ولا داراً ولكننا نورت الأعيان من الحكمة والعلم والسنة (١) » .

وقد صارت بحسب هذا الحديث حفأً من حقوق المسلمين كما كان فداءه أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله يوم بدر ، فقد أصيب أبو العاص في الاصرى يوم بدر لأنه خرج مع مشركي قريش ، ولما بعث أهل مكة في فداء ابراهيم بعثت زينب بمال في فداء أبي العاص زوجها وكان فيها بعثت به من المال قلادة كانت السيدة خديجة أمها البصمتها أباها ليلة زفافها على زوجها ، فلما رأى النبي (ص) القلادة - وهو عارف بها - رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين « إن رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها ما بعثت به من الفداء فأفملوا » . فقالوا « نعم يا رسول الله نقدر بك بأنفسنا وأموالنا » . فردوها عليها ما بعثت به وأطلقوا لها أبا العاص زوجها بغير فداء . قال ابن أبي الحديد : قرأت على النقيب أبي جعفر هذا الخبر فقال : « أترى أمّا بكر وعمر لم يشهدوا هذا المشهد ؟ أما كان يقتضي التكرم

(١) شرح نهج البلاغة « ج : ٦ ص : ٨٠ » .

والاحسان أن يطيب أبو بكر قلب فاطمة بفديك واستو هب (١) لامن المسلمين وأتقصر منزلتها عند رسول الله (ص) عن منزلة زينب أختها وهي سيدة نساء العالمين . هذا اذا لم يثبت لها حق لا بالنحلة ولا بالارث .

فقلت له : « فدك بموجب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار حقاً من حقوق المسلمين فلم يجز له ان يأخذنه منهم ». فقال : « وفاء أبي العاص بن الربيع قد صار حقاً من حقوق المسلمين وقد أخذنه رسول الله (ص) منهم ». فقلت « رسول الله (ص) صاحب الشريعة والحكم حكمه وليس ابو بكر كذلك ». فقال « أنا ما قلت هلا أخذنه أبو بكر من المسلمين قهراً فدفعه الى فاطمة ، وإنما قلت : هلا استنزل المسلمين عنه واستو هبه منهم لها كما استو هب رسول الله (ص) من المسلمين فداء أبي العاص ، أتراء لو قال : هذه فاطمة بنت نبيكم قد حضرت تطلب هذه النخلات ، افقطيبون عنها نفساً ، أكانوا منعواها ذلك ؟ ». فقلت له « قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو هذا ، قال : إنهم لم يأتيا بحسن في شرع التكريم وان كان ما أتياه حسناً في الدين (٢) » .

(١) أصل الأصل « ويستوهبها لها من المسلمين ». « شرح نوع البلاغة » ج ٣ ص ٣٥١ .

(٢) الشرح المذكور في الموضع المزبور .

١٠ - معاوية يستدرج علياً إلى الطعن على الشيختين

كان معاوية بن أبي سفيان في أيام خروجه من الطاعة ومقارنته
المجاعة قد كتب إلى علي بن أبي طالب كتاباً يستدرجه فيه إلى الطعن على
الشيخين وبعث أبا أمامة الباهلي به وهو من الصحابة وهذه نسخته :

« من عبدالله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب ، أما
بعد فإن الله - تمالي جده - اصطفى محمداً - عليه السلام - لرسالته
واختصه بوحيه وتأدية شريعته فأنقدر به من المعاية وهدى به من
الغواية ثم قبضه إليه رشيداً حبيداً قد بلغ الشرع ومحق الشرك ،
وأخذ نار الافك فأحسن الله جزاءه وضاعف عليه نعمه وألاله ثم
إن الله سبحانه اختص محمداً (ع) بأصحابه أبدوه وآذروه ونصروه
وكانوا كما قال الله سبحانه لهم « أشداء على الكفار رحاء بينهم »
فكان أفضليهم صرتبة وأعلامهم عند الله والمسائين الخليفة الأول الذي فتح
الفتوح ومصر الأمسار وأذل رقاب المشركين ثم الخليفة الثالث
المظلوم الذي نشر الملة وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفية ، فلما استوسق
الإسلام وضرب بجرانه عدوت عليه فبغيةه الغوايل ونصبت له المكابد ،

وضربت له بطن الأمر وظهره ودسته عليه وأغرقت به وقدمت
حيث استنصرك عن فصره وسألتك أن تدركه قبل أن يعزق فما أدركته
وما يوم المسلمين منك بوحد : لقد حسدت أبا بكر والتقوية عليه
ورمت أفساد أمره وقدمت في بيتك واستغوايت عصابة من الناس
حتى تأخروا عن مبيعته ثم كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت
مدته وسررت بقتله وأظهرت الشهادة بعصابه حتى إنك حاولت قتل
ولده لأنك قتل قاتل أبيه ، ثم لم تكن أشد منك حسداً لابن عمك
عنان : أشرت مقابحه وطويت محاسنه ، وطعنت في فقهه ثم في دينه
ثم في سيرته ثم في عقله وأغرقت به السفهاء من أصحابك وشيعتك حتى
قتلواه بحضور منك لا تدفع عنه بلسان ولا بيد ، وما من هؤلاء إلا
من بغية عليه وتلكأت في بيته حتى حملت إليه قهراً ، تأسى بخزيئه
الاقتدار كما يأس الفحل المخشوش ثم هضت الآن نطلب الخلافة
وقتلة عنان خلاصوك وشجراوك والمهدقون بك وملك من أمانى
النفوس وضلالات الأهواء فدع الدجاج والسبت جانباً وادفع الينا قتلة
عنان وأعد الأمر شورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو الله رضاً ،
فلا يهم لك في أعنافنا ولا طاعة لك علينا ولا عتبي لك عندنا وليس
لك ولا أصحابك عندي إلا السيف . والله الذي لا إله إلا هو لأطلبن

قتلة عثنا أين كانوا وحيث كانوا حتى أقتلهم او تتحقق روحني بالله .
 فأما ما لا تزال تمن به من سابقتك وجهادك فاني وجدت الله سبحانه
 يقول « يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن
 عليكم أن هداكم للإعان ان كنتم صادقين ». ولو نظرت في حال
 نفسك لو جدتها أشد الأنسف امتناناً على الله بعملها، واذا كان الامتنان
 يبطل أجر الصدقة فالامتنان على الله يبطل أجر الجihad ويجعله كصفوة
 عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء بما كسبوا
 والله لا يهدى القوم السكارفون » .

فاما وصل هذا الكتاب الى علي مع أبي امامية الباهلي كتب اليه
 جواباً بهذه نسخته :

« أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمدآ (ص)
 لدينه وتأييده إياه من أيده من أصحابه ، فلقد خباء لنا الدهر منك
 عجباً ، إذ طفت تخبرنا بيلاء الله تعالى عندنا ولعمته علينا سافر زبينا
 فكنت في ذلك كناقل الغراله بحر ، أو داعي مسدده الى النضال (١) ،
 وزعمت أن أفضل الناس في الاسلام فلان وفلان فذكرت أمراً أن تم

(١) اشارة الى قول الشاعر الأول :

اعله الرماية سهل يوم لها استد ساده رمانى

اغْزَلَكَ كُلَّهُ وَإِنْ نَقْعَنْ لَمْ يَلْحَقْكَ ثُلْمَهُ ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلُ وَالْمُفْضِلُ
 وَالسَّائِسُ وَالْمَسْوَسُ وَمَا لِلظَّلَّاءِ وَأَبْنَاءِ الظَّلَّاءِ وَالْمُتَيَّزُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ
 الْأَوْلَى وَتَرْتِيبُ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفُ طَبَاقَاتِهِمْ ؟ هَيَّاهَاتٌ ، لَقَدْ حَنَ قَدْحٌ
 لِيَعْنُسْ مِنْهَا وَطَفْقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مِنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ هُنَّا . إِلَّا تَرْبِيعُ أَبْيَا الْأَنْسَانَ
 عَلَى ظَلَمِكَ (١) وَتَعْرِفُ قَصُورَ ذَرْعِكَ وَتَتَأْخِرُ حِيثُ أَخْرُكَ الْقَدْرُ ،
 فَإِنَّ عَلَيْكَ غَلَبةَ الْمَفْلُوبِ وَلَا ظَفَرَ الظَّافِرِ ، فَالْمُكَلَّكُ لِذَهَابِ فِي التَّيْهِ رَوَاعِ
 عَنِ الْقَهْمَدِ إِلَّا تَرَى (غَيْرُ مُخْبِرِكَ وَلَكِنْ بِنَعْمَةِ اللَّهِ أَحَدُكُمْ) إِنْ قَوْمًا
 اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَسْأَلُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ
 حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدُنَا قَيْلَ سَيِّدُ الشَّهِادَاتِ ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَ)
 بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ ؟ أَوْلَا تَرَى إِنْ قَوْمًا قَطَعْتُمْ أَيْدِيهِمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ حَتَّى إِذَا فَعَلْتُمْ بِوَاحِدَتِنَا مَا فَعَلْتُمْ بِوَاحِدِهِمْ قَيْلَ
 الطَّيَّارِ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحِينَ . وَلَوْلَا مَا تَهْنَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَّةِ الْمُرِئِ
 نَفْسَهُ لَذَكْرُ ذَاكِرٍ فَضَّالِّلَ جَمَّةٌ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَمْجِهُ آذَانُ
 السَّامِعِينَ فَدَعْ عَنْكَ مِنْ مَالِتْ بِهِ الرَّمِيمَةُ (٢) فَإِنَّا صَنَاعُ رَبِّنَا (٣)

(١) أَيْ إِلَّا تَرْفَقُ بِنَفْسِكَ وَتَكْفُ وَلَا تَحْصُلُ مَا لَا تَطْبِقُهُ .

(٢) أَيْ دَعْ ذَكْرَ مِنْ مَا لَيْدَانَ الْدُّنْيَا وَمَالَتْ بِهِ أَيْ أَمَالَهُ الدُّنْيَا إِلَيْهَا .

(٣) أَيْ لَبِسٌ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ عَلَيْنَا نَصْمَةٌ بَلْ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْصَمَ عَلَيْنَا .

والناس بعد صنائع لنا ، لم يغنا قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك
ان خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وانكحنا فعل الأكفاء ولستم هنالك
وانى يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ؟ ومنا اسد الله
ومنكم اسد الأحلاف ؟ ومنا سيد اشباب اهل الجنة ومنكم صبيحة النار
ومنا خير نساء العالمين ومنكم حالة الحطب ، في كثير مما لما وعليكم
فاسلامنا ما قد سمع وجاهلتنا لا تدغم وكتاب الله يجمع لنا ما شد
عننا وهو قوله سبحانه وتعالى « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض
في كتاب الله ». وقوله تعالى « إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه
وهذا النبي والذين آمنوا والله ولِي المؤمنين » فنسجن صرفة اولى بالقرابة
وتارة اولى بالطاعة ، وما احتاج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة
برسول الله (ص) فلجلوا عليهم فاذ يكن الفاج به فالحق لنا دونكم وان
يكن بغیره فالأنصار على دعواهم . وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت
وعلى كلهم بغيت فاذ يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون
المذر لك « وتلك شکاة ظاهر عنك عارها ». وقلت : اني كنت
أقاد كما يقاد الجمل الخشوش حتى أبایع . ولعمر الله لقد أردت اذ تدم
ففتحت وان تهضخ فافتھضت ، وما على المسلم من غضاضة في انى
يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دینه ولا صرفاً بيقينه ، وهذه

سُجْنِي إِلَى غَيْرِكَ غَصَّدَهَا وَلَكِنِي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَمِحَ مِنْ
 ذِكْرِهَا ، ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عَثَّانَ فَلَكَ أَنْ تَحْجَبَ عَنْ
 هَذِهِ لِرْجُوكَ مِنْهُ فَأَيْنَا كَانَ أَعْدِي لَهُ وَاهْدِي إِلَى مَقَاتِلِهِ (١) ؟ أَمْنِ
 بَذَلَ لَهُ نَصْرَتِهِ فَاسْتَسْتَعْدِهِ وَاسْتَكْفِهِ أَمْ مِنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاهُ خَيْرَهُ وَبَثَ
 الْمَنْوَزَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَى قَدْرُهُ عَلَيْهِ ؟ كَلَّا وَاللَّهُ « لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمَعْوِقِينَ مِنْكُمْ
 وَالْفَاقِلِينَ لَا خَوْاْنِهِمْ هُلْمَ الْيَنَا وَلَا يَأْتُونَ بِالْبَأْسِ إِلَّا قَلِيلًا » . وَمَا كَنْتُ
 لَا عَتَدْرُ مِنْ أَنِّي كَنْتُ أَنْقَمْ عَلَيْهِ أَحَدَانَا فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ ارْشَادِيُّ
 وَهَدَائِيُّ لَهُ فَرَبِّ مَلُومَ لَا ذَنْبَ لَهُ « وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةُ الْمُتَنَصِّحُ »
 « وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا اِصْلَاحًا مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ
 تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ » . وَذَكَرْتُ أَنَّهُ نَيْسَ لِي وَلَا صَحَابِيْ بِعِنْدِكَ إِلَّا
 السِّيفُ ، فَلَفَدَ أَضْحِكْتُ بَعْدَ اسْتِعْبَارِيْ مَتَى الْقَيْتُ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ
 عَنِ الْأَعْدَاءِ نَا كَلِينَ وَبِالسِّيفِ مَخْوِفِينَ « فَلَبِثَ قَلِيلًا يَلْعَقُ الْمَهِيجَا

(١) مِنْ كِلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَقَدْ جَاءَهُ بِرَسَالَةٍ مِنْ عَثَّانَ وَهُوَ
 مُحْسُورٌ يَسْأَلُهُ فِيهَا الْحَرْوَجَ إِلَى مَا لَهُ بِيَنْبَعِ لِيَقْلُ هَتْفَ النَّاسِ بِاصْحَاهِ الْخَلَافَةِ ، بَدَّ
 أَنْ كَانَ سَأْلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِهِ « يَا ابْنَ عَبَّاسٍ . مَا بِرَبِّ عَثَّانَ إِلَّا أَنْ
 يَجْعَلَنِي جَلَّ نَاصِحًا بِالْغَرْبِ ، أَفْبَلَ وَادِيرَ : بِمَثْلِي أَنْ أُخْرُجَ ثُمَّ بُعْثَتِي إِلَى أَنْ
 أَنْدَمَ ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أُخْرُجَ ، وَاللَّهُ لَقَدْ دَفَعَتْ عَنِّي حَتَّى خَشِيتُ أَنْ
 أَكُونَ آنَمًا » « شَرْحُ النَّهْجَجِ ٢ ، ص ٣٨٢ » .

حل (١) . فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد وانصر قل
نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بحسان ،
شديد زحامهم ، سـاطع قتامهم ، متسربلين صرائيل الموت ، أحب
اللقاء إليهم لقاء ربهم وقد صحبيتهم ذرية بدريه وسيوف هاشمية قد
عرفت موافق نضالها في أخيك وخلاتك وجدرك وأهلك (وما هي من
الظالمين يهعبد) .

هـ كان معاوية يتسقط علياً وينهى عليه ما عساه يذكره من حال
أبي بكر وعمر وانها غصباً عن حقه ، ولا يزال يكتبه بالكتاب يكتبه
والرسالة يبعث بها ، يطلب غرته لينفذ بما في صدره من حال أبي بكر
وعمر إما مكابة او مراسلة ، فيجعل ذلك حجة عليه عند أهل الشام
ويضيفه إلى ما قرره في انفسهم من ذنبه ، كازهم ، فقد كان غمده
عندهم بأنه قتل عثمان وما الأ على قتله وانه قتل طحمة والزبير وأسر
عائشة واراق دماء أهل البصرة وبقيت خصلة واحدة وهي أن يثبت
عندهم أنه يتبرأ من أبي بكر وعمر وينسبها إلى الظلم ومخالفة الرسول
في أسر الخليفة وانها وتبأ عليها غلبة وغضباً إياها ، فتكون هذه
الطامة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشام عليه بل وأهل
العراق الذين هم جنده وبطانته وأنصاره لأنهم كانوا يعتقدون امامية
الشيفين إلا القليل الشاذ من خواص الشيعة ، فلما كتب معاوية ذلك
الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد أن يغضب علياً ويحرجه ويمحوجه
إذا ذكر أبي بكر وانه أفضل المسلمين إلى أن يخلط خطه في
الجواب بكلمة تقتفي طعناً في أبي بكر ، فكان الجواب مجحضاً غير
بين ، ليس فيه تصرّف بالظلم لها ولا التصرّف ببراءته منها وتارة
يترحم عليها وتارة يقول «أخذنا حتى وقد تركته لها » . فأشار

عمر و بن العاص على معاوية ان يكتب كتاباً فائضاً مناسباً للكتاب الأول
 ليستغزا فيه علياً ويستخفاه ويحمله الفضب منه أن يكتب كلاماً
 يتعلقان به فهو تقبیح حاله وتهجین مذهبہ وقال له عمر « إن علياً رجل
 نزق تیاه وما استطاعت منه الكلام بعثل قریظ ابی بیکر و عمر
 ظاكتب ». فكتب كتاباً أتفذه اليه مع أبي امامۃ الباهلي وهو من
 الصحابة بعد أن عزم على بعثته مع أبي الدرداء فلما وصل هذا
 الكتاب الى علي كلم أبو امامۃ بتحوماً كلام به أبو مسلم الخولاني
 وكتب معه هذا الجواب . وفي كتاب معاوية هذا ذكر لفظ « الجل
 المخوش » أو « الفحل المخوش » لا في الكتاب الوائل مع أبي
 مسلم وليس في ذلك هذه اللفظة وإنما فيه « حسدت الخلفاء وبغيت
 عليهم ، عرفنا ذلك من نظرك الشذر وقولك المجر وتنفسك الصمداء
 وابطائك عن الخلفاء ». وإنما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين ،
 والمشهور عندهم كتاب أبي مسلم ، فيجعلون هذه اللفظة فيه والصحيح
 أنها في كتاب أبي امامۃ ، الا تراها عادت في جوابه ولو كانت في
 كتاب أبي مسلم لعادت في جوابه ^(١) .

(١) شرح النهج (ج ٣ ، ص ٤٥ : ٩ - ١) .

١١ - الاشفاق على الخلافة

لما توفي النبي (ص) اجتمعت الانصار الى سعد بن عبادة ، فأن لهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة ، فقال الحباب بن المنذر « منا أمير ومنكم أمير ، أنا والله ما تنفس هذا الأمر عليكم ايها الرهط والكنا نخاف أن يليه بدمكم من قتلنا آباءهم وأبناءهم واخوانهم » ، فقال عمر بن الخطاب « اذا كان ذلك قت اذا استطعت » . فتكلم ابو بكر فقال « نحن الأسراء وأنتم الوزراء والأمر بيتنا نصفان كشق الابلة » . فبوبع . وكان اول من بايعه بشير بن سعد والد النعماز بن بشير ، فلما اجتمع الناس على ابي بكر قسم قسماً بين نساء المهاجرين والانصار فبعث الى اسراء من بني عدي بن النجار بقسمها مع زيد بن ثابت ، فقالت : ما هذا ؟ قال : قسم قسمه ابو بكر للنساء . قالت : أترا شوتني عن ديني والله لا اقبل منه شيئاً . فردته عليه .

قال ابن ابي الحميد « فرأت هذا الخبر على ابي جعفر بحبي بن محمد العلوى الحسنى المعروف بابن ابي زيد ، نقىب البصرة (رح) سنة عشر وستمائة ، من كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري » . قال « لقد صدق فراسة الحباب فان الذي خافه وقع يوم الحرة واخذ

من الأنصار فأثر المشركون يوم بدر . ومن هذا خاف ايضاً رسول الله (ص) على ذريته وأهله فأنه كان قد وتر الناس وعلم انه ان مات وترك ابنته ولدها سوقة ورعيه تحت ايدي الولاة كانوا بعرض خطر عظيم ، فما زال يقرر لابن عممه قاعدة الأمر بعد مماته حفظاً لدمه ودماء اهل بيته فلهم اذا كانوا ولاة الأمر كانت دمائهم اقرب الى الصيانة والمعصمة مما اذا كانوا سوقة تحت يد وال من غيرهم فلم يساعدهم القضاء والقدر وكان من الأمر ما كان ثم افضى أمر ذريته فيها بعد الى ما قد علمت (١) .

١٢ - حرصبني امية على الخلافة

جاء في الأخبار ان الوليد بن عبد الملك ضرب علي بن عبد الله بن العباس بالسياط وشهره بين الناس فكان يدار به علي بغير وجهه مما يلي ذنب البعير وصانع يصبح أمامه « هذا علي بن عبد الله الكذاب » فقال له قائل - وهو على تلك الحال - ما الذي نسبوك اليه من الكذب يا أبي محمد ؟ قال : بلغتهم قولي ان هذا الأمر سيكون في ولدي . والله ليكون فيهم حتى يملأ كه عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين

(١) شرح النهج « ج ١ ، ص ١٣٣ » .

كأن وجوهم المجان المطرقة .

وروي أن علي بن عبدالله بن العباس دخل على هشام ومعه ابنا ابنته أبو العباس السفاح وأبا جعفر المنصور فكلمه فيما اراد ثم ولد فقال هشام : إن هذا الشيخ قد خرف واختلط وخلط : يقول « إن هذا الأمر سينتقل إلى ولده ». فسمع علي بن عبدالله كلامه ، فالتفت إليه وقال : أي والله ليكون ذلك ولبلكن هذان .

قال ابن أبي الحبيب : سألت النقيب أبا جعفر بمحبي بن محمد بن أبي زيد (رح) فقلت له : من أي طريق عرف بنو أمية إن الأمر سينتقل عنهم وأنه سيليه بنوهاشم ، وأول من يلي منهم يكون اسمه « عبدالله » ومن ذهونهم عن منها كعنة بني الحارث بن كعب لعلهم أن أول من يلي الأمر من بني هاشم تكون أمه حارثة ؟ وبأي طريق عرف بنو هاشم أن الأمر سيصير اليهم ويدرك عبيد أولادهم حتى عرفوا صاحب الأمر منهم بعينه - كما قد جاء في هذا الخبر - ؟

فقال النقيب أبو جعفر : « أصل هذا كله محمد بن الحنفية ثم ابنته عبدالله المكتنی بأبي هاشم ». .

قلت له « أكان محمد بن الحنفية مخصوصاً من أمير المؤمنين (ع) بعلم يستأثر به على أخيه حسن وحسين ؟ » قال : « لا ولكنها كتما

وأذاع . قد صحت الرواية (١) عندها عن أسلافنا عن غيرهم من أرباب الحديث اذ علياً لما قبض أتى محمد ابنته الى اخويه الحسن والحسين فقال لها : اعطياني ميراثي من ابي . فقلالله : قد علمنا ان أباك لم يترك صفراه ولا بيضاء . فقال : قد علمت ذلك وابن ميراث المال اطلب ادما اطلب ميراث العلم . فدفعها اليه صحيفه لو اطلاعه على اكتزمنها هلك ، فيها ذكر دولة بنى العباس وقد روی أبوالحسن علي بن محمد النوفلي قال حدثني عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس قال : لما اردننا الهرب من صروان بن محمد لما قبض على ابراهيم الامام جعلنا نسخة الصحيفه التي دفعها ابوهاشم بن محمد - ابن الحنفية الى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وهي التي كان آباءنا اسمونها « صحيفه الدولة » في صندوق من نحاس صغير ثم دفناه تحت زيتونات بالشرارة لم يكن بالشرارة من الزيتون غيرهن ، فلما أفضى السلطان اليها وملائكتها الأرض ارسلنا الى ذلك الموضع فبحث وحفر فلم يوجد فيه شيء فأمرنا بمحفر جريب من الأرض في ذلك الموضع حتى باع الحفر الماء ولم نجد شيئاً . وقد كان محمد بن الحنفية صرح بالأمر لعبدالله بن العباس وعرفه تفصيله ولم يكن امبر المؤمنين قد فصل لعبدالله بن

(١) عن أبيان بن عثمان عن جعفر بن محمد الصادق .

العباس الأمر وانما اخبره بمحلاً كقوله «خذ اليك أبا الأملالك^(١)»
 ونحو ذلك مما كان يعرض له به ولكن الذي كشف القناع وابرز
 المستور عليه هو محمد بن الحنفية وكذلك ايضاً ما وصل الى بنى امية
 من علم هذا الأمر فانه وصل من جهة محمد بن الحنفية واطلعهم على السر
 الذي علمه ولكن لم يكشف لهم كشفه لبني العباس فان كشفه لبني العباس
 كان أكمل . فأما ابوهاشم فانه قد كان افضى بالأمر الى محمد بن علي بن
 عبدالله بن العباس واطلعه عليه وادفعه له فلما حضرته الوفاة عقيب
 انصرافه من عند الوليد بن عبد الملك من بالشراوة وهو مريض ومحمد بن
 علي بها فدفع اليه كتبه وحمله وصيه وامر الشيعة بالاختلاف اليه، وحضر
 وفاة ابي هاشم ثلاثة نفر من بنى هاشم محمد بن علي هذا ومعاوية بن
 عبدالله بن جعفر بن ابي طالب وعبد الله بن الحارث بن نوفل بن
 الحارث بن عبد المطلب ، فلما مات خرج محمد بن علي ومعاوية بن
 عبدالله بن جعفر من عنده وكل واحد منها يدعى وصايتها فأما
 عبدالله بن الحارث فلم يقل شيئاً . وصدق محمد بن علي انه اليه اوصى

(١) يعني أنه لما ولد له ولد ذكر وأنثى به غالباً وطلب اليه ان يسميه أخذه
 وذكه ودعاه ثم رده اليه وقال «خذ اليك أبا الأملالك» ، قد سميت عليه وبكته
 أبا احسن » .

ابوهاشم واليه دفع كتاب الدولة وكذب معاوية بن عبدالله بن جعفر
لكتنه قرأ الكتاب فوجد لهم ذكرآ يسيراً فأدعي الوصية بذلك فمات
وخرج ابنه عبدالله بن معاوية يدعى وصاية ابيه ويدعى لأبيه
وصاية ابي هاشم ويظهر الانكار علىبني امية وكان له في ذلك شيعة
يقولون بامامته سراً حتى قتل (١) .

١٣ - جلد عظام هشام بن عبد الملك

خرج عبدالله بن علي العباسي عم أبي العباس السفاح في خلافة
هذا لنبيش قبور بنى امية الشام (٢) فانهى الى قبر هشام بن
عبد الملك فاستخرج منه صبيحاً لم يذهب الا عرفيه ، فضر به
عبد الله بن علي ثانية سوطاً ثم احرقه ، حفر قبر سليمان بن عبد الملك
من أرض دابق فلم يجد منه شيئاً الاصلبه « محمود الفقاري » ورأسه
وأضلاعه فأحرقه وفعل مثل ذلك بغيرها من بنى امية وكانت قبورهم
بقنسرين ثم انهى عبدالله الى دمشق فنبش قبر الوليد بن عبد الملك

١١- ج ٢، ص ٢١١-٢١٢، شرح الابجدي

(٢) ولا استولى هولاكو على بغداد سنة «٦٥٦» نباش قبرد في العباس ونائمه بالصافة جنوب بي الأعظمية وأحرقها وذلك من اعجم الحوادث .

فأوجده فيه قليلاً ولا كثيراً واحتقر عن عبد الملك بن مروان فما
وجد إلا شؤون رأسه ثم احتقر عن يزيد بن معاوية فلم يجد منه إلا
عظمًا واحداً ووجد من موضع نخره إلى قدمه خطأ واحداً أسود
كأنما خط بالرماد في طول لحده ، وتتبع عبد الله قبورهم في جميع
البلدان فأحرق ما وجد فيها منهم .

روى هذا الخبر أبو الحسن المعمودي في سروج الذهب ونقله
من كتابه ابن أبي الحديد وقال : « فرأيت هذا الخبر على النقيب أبي
جعفر بخي بن أبي زيد العلوي في سنة خمس وستمائة ، وقلت : أما
احراق هشام باحرارق زيد بن علي بن الحسين فهو مم ، فما معنى جلده
عنانين سوطاً ؟ » ، فقال (رح) : « أظن عبد الله بن علي ذهب في
ذلك إلى حد القذف لأنه يقال إن هشاماً قال لزيد بن علي « يا ابن
الزانية » لما سب أخاه محمدآ الباقي ، فسبه زيد وقال له « سماه رسول
الله (ص) الباقي وسميه أنت البقرة ، لشد ما اختلفتما ولتخالفنه
في الآخرة كما في خالفته في الدنيا فيرد الجنة وترد النار (١) » .
قال ابن أبي الحديد : وهذا استنباط لطيف (٢) .

(١) راجع شرح نهج البلاغة « ج ٦ ، ص ٣١٥ » .

(٢) شرح النرج « ج ٢ ، ص ٢٠٠ » .

١٤ - أخو النبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الجاهلية

اسناد الرواة خبراً الى الامام علي بن ابي طالب انه قال : قال رسول الله (ص) « قال لي جبرائيل ان الله مشفعك في ستة : بطن حنتك آمنة بنت وهب وصلب افزلك عبدالله بن عبدالمطلب وحجر كفلك ابي طالب وبيت آواك عبدالله بن عبدالمطلب . وأخ كان لك في الجاهلية . قيل يا رسول الله : وما كان فعله ؟ قال : كان سخيناً يطعم الطعام وبجود بالنوال . وندي ارض منك حليمة بنت ابي ذؤيب » .

قال ابن الحميد . سألت النقيب أبا جعفر عن هذا الخبر وقد قرأته عليهـ : هل كان لرسول الله (ص) أخ من ابيه او من امه او منها في الجاهلية ؟ فقال « لا انا يعني اخا له في المودة والصحبة » قلت « فن هو ؟ » قال : « لا ادري (١) » .

قال مصطفى جواد مصنف هذا الكتاب : لا شك في ان النبي (ص) لم يرد بقوله ذلك اخاه من الرضاعة وهو ابن حليمة بنت ابي ذؤيب السعدية المستفيض خبره في كتب السيرة النبوية ، لأن النبي لم يبق معه مدة يصبح معها ان يقال انه صار سخيناً مطعاماً ، ولا ميسرة غلام السيدة خديجة لأن صداقته له كانت حديثة . ولا

(١) شرح النهج « ج ٢ ، ص ٣١١ » .

يتبرد الى التهمن الا انه عنى صديقه حين كان يرعى غنماً فقد روى
 الطبرى يرافقه الى الامام علي بن ابى طالب قال : سمعت رسول الله
 (ص) يقول « ما همت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير
 مرتين ، كل ذلك بحول الله بيئي وبين ما اريد من ذلك ، ثم ما همت
 بسوء حتى اكرمني الله - عز وجل - برسالته فاني قلت ليلة لغلام من
 قريش كان يرعى معي بأعلى مكة : لو أبصرت لي غنم حتى ادخل
 مكة فأسر بها كما يسر الشباب . فقال : افعل فخرجت أريد ذلك حتى
 جئت اول دار من دور مكة فسمعت عزفًا بالدفوف والمزامير ، فقلت :
 ما هذا ؟ قالوا فلان بن فلان تزوج بفلانة بنت فلان . فلست انظر
 اليهم ، فضرب الله على اذني : فنمت فما يقضنی إلا مس الشمس . فجئت
 صاحبي ، فقال : ما فعات ؟ قلت : ما صنعت شيئاً . ثم اخبرته الخبر
 ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك . فقال : افعل . فخرجت فسمعت حين
 جئت مكة مثل ما سمعت حين دخلت مكة تلك الليلة ، فلست أنظر
 فضرب الله على اذني ، فوالله ما يقضنی إلا مس الشمس فرجعت الى
 صاحبي فأخبرته الخبر ثم ما همت بعدها بسوء (١) .

(١) تاريخ الامم والملوك « ج ٢ ص ١٦٦ » من طبعة انجطافية الحسينية

١٥ - أبو حيان التوحيدى والمفاضلة بين علي وجمفر

أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدى كان من ذواuge الكتب وكتاب المدققين ومهرة الوضاعين ، قسا عليه الزمن فقسما هو على أبنائه ، وحارفه الدهر بشر فانحرف عن الجدد وزاغ عن القصد ، وتسيخط الدولة التي عاصرها دولة بنى بويه فأبغضها وذم مذهبها ومن هنا جاءته كراحته لللامام علي بن أبي طالب ، ولم يسترح في زمانه الا الى أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان العارض الوزير وكان وزيراً ظالماً ميئ التدبير آل أصره الى القتل ، واتصال الانسان برجال الظلم واصحاب الجور اعانته على النفس واستجلاب للكره والماكروه عليها واستبدار لأصرها ، فلم يزدد ابو حيان باستراحته الى ذلك الظالم إلا تشفيغ الناس عليه وتسويعهم به وبغضهم له ، وما ندم ابو حيان على تخليمه كثيراً من الكذب بطون الكتب أحرق بعضها وغسل ببعضاً بالماء وقال « اسأل الله - تعالى - رب الأولين ان يجعل اعتراضي بما اعرفه ووصولاً بنزوعي عمما افترفه ، انه قریب محبب (١) ». ورد روی ابو حيان رسالتاً ابي بكر الى علي وجوابه عنها ،

(١) معجم الادباء ، اياقوت الحوى « ج ٥ ص ٣٨٩ » .

وفي الرسائلتين ما يستعين به نسبتها اليهما من غلظ القول وصرخ
السباب وبذيء التعریض ، ومنكر التقدید ، وقد نقل ابن ابی الحدید
الرسالتین وقال « الذي يغلب على ظني ان هذه المراسلات والمحاورات
والكلام كله مصنوع موضوع وانه من کلام ابی حیان التوھیدي
لأنه بكلامه ومذهبة في الخطابة والبلاغة اشبهه ، وقد حفظنا کلام عمر
ورسائله وکلام ابی بکر وخطبه فلم نجد لها بذهبان هذا المذهب ولا
يسلاکان هذا السبيل في کلامها وهذا کلام عليه أثر التولید ليس بخفی
واین ابو بکر وعمر من البديع وصناعة المحدثین؟ ومن تأمل کلام ابی
حیان عرف ان هذا الكلام من ذلك المعدن خرج ، ويدل عليه انه
اسنده الى القاضی ابی حامد المروروذی وهو ذه عادته في كتاب
« البصائر » يسند الى القاضی ابی حامد كل ما يريد ان يقوله هو من
تلقاء نفسه اذا كان كلاماً لأن ينسب اليه واما ذكرناه نحن في هذا
الكتاب لأنه وار كان عندنا موضوعاً منحولاً فانه صورة ما جرت
عليه حال القوم وان لم ينطقووا به بلسان المقال فقد نطقوا به
بلسان الحال وما يوضح لك انه مصنوع از المتكلمين على اختلاف
مقالاتهم من المعتزلة والشیعہ والأشمریة واصحاب الحديث وكل من
صنف في علم الكلام والامامة لم يذكر أحد منهم كلة واحدة من

هذه الحكمة ولقد كان الشريف الرضي (رح) يلتفت من كلام أمير المؤمنين - عليه السلام - الأفظة الشاذة والكلمة المفردة الصادرة عنه في معرض التألم والتظلم فيحتاج بها ويعتمد عليها . . . وكان الرضي اذا ظهر بكلمة من هذه فكانما ظهر بملك الدنيا ويدعها كتبه وتصانيفه فain كان الرضي عن هذا الحديث وهلا ذكر الشريف المرتضى في كتاب « الشافى في الامامة » كلام امير المؤمنين هذا وكذلك من قبله من الامامية كان النهان وبني نوبخت وبني بابويه وغيرهم وكذلك من جاء بعده من متأخرى متكلمى الشيعة واصحاح الاخبار والحديث منهم الى وقتنا هذا وain كان اصحابنا المعزلة عن كلام ابى بكر وعمره ؟ وهلا ذكر ذكره قاضي القضاة عبد الجبار في كتاب « المغى » مع احتواه على كل ما جرى بينهم حتى انه يمكن ان يجمع منه تاریخ كبير مفرد في اخبار السقيةة وهلا ذكره من كان قبل قاضي القضاة من مشايخنا واصحابنا ومن جاء بعده من متكلعينا ورجالنا ؟ وكذلك القول في متكلمى الاشعرية واصحاح الحديث كان الباقلانى وغيره وكان ابن الباقلانى شديداً على الشيعة عظيم المقصبة على امير المؤمنين علي ، فلو ظهر بكلمة من كلام ابى بكر و عمر في هذا الحديث ملاً الكتب والتصانيف بها وجعلها هجراه ودأبه . والامر فيها ذكرناه من وضع

هذه القصيدة ظاهر لمن عنده ادنى ذوق من علم البيان ومعرفة كلام الرجال ولمن عنده ادنى معرفة بعلم السير واقل انس بالتواریخ (١) .
وكلام ابن ابی الحدید هـ - هذا ظاهر السداد مؤبد الحجج ناطق
الادلة واضعف البرهان فالتولید والاختلاف بينان في الذي ادعى ابو
حيان دوایته ، ولكنـه استمد فيه من كتب معاوية الى علي وليـت
ابن ابی الحدید راعـي هذه الضوابط وقـاس بهذه المقاييس فـهـ كلام آخر
رواه ابو حیـان ونقلـه هو في شرحـه ، وائزـ الوضـع عليه ظاهر قال :
« قـرأتـ في كتابـ صـنـفـهـ ابوـ حـيـانـ التـوـحـيدـيـ فيـ «ـ تـقـرـيـظـ
الـجـاحـظـ »ـ قالـ :ـ نـقـلـتـ مـنـ خـطـ الصـوـلـيـ :ـ قالـ الجـاحـظـ انـ العـبـاسـ بنـ
عـبـدـ المـطـلـبـ اـرـصـىـ عـلـيـ بـنـ اـبـيـ طـالـبـ فـيـ عـلـةـ هـ الـتـيـ مـاتـ فـيـهاـ فـقـالـ :ـ
ـ أـيـ بـنـيـ اـنـيـ مـشـفـ عـلـىـ الـظـمـنـ عـنـ الدـنـيـاـ إـلـىـ اللـهـ الـذـيـ فـاقـتـيـ إـلـىـ عـفـوـهـ
ـ وـ تـجـارـزـهـ أـكـثـرـ مـنـ حـاجـيـ إـلـىـ مـاـ الصـحـكـ فـيـهـ وـ اـشـبـرـ عـلـيـكـ بـهـ ،ـ وـ لـكـنـ
ـ الـعـرـقـ بـبـوـضـ وـ الـرـحـمـ عـرـوـضـ وـ اـذـاـ قـضـيـتـ حـقـ الـعـوـمـةـ فـلـاـ اـبـالـيـ بـعـدـ .ـ
ـ إـذـ هـذـاـ الرـجـلـ -ـ يـعـنـيـ عـمـانـ -ـ قـدـ جـاءـنـيـ سـرـارـآـ بـحـدـبـيـكـ وـ نـاظـرـنـيـ مـلـاـيـنـاـ
ـ وـ مـخـاشـنـاـ فـيـ أـسـرـكـ وـ لـمـ اـجـدـ (ـمـنـهـ)ـ عـلـيـكـ الـأـمـلـ مـاـ أـجـدـ مـنـكـ عـلـيـهـ
ـ وـ لـأـرـأـيـتـ مـنـهـ لـكـ الـأـمـلـ مـاـ أـجـدـ مـنـكـ لـهـ ،ـ وـ لـسـتـ تـؤـنـيـ مـنـ فـلـةـ عـلـمـ

(١) شـرـحـ النـفـعـ (ـ جـ ٢ـ صـ ٥٩٢ـ ٧ـ)

ولكن من قلة قبول ومن هذا كله فالرأي الذي اودعك به ان نفسك
عنده لسانك ويدك وهزك وغمزك فإنه لا يبدئك مالم تبدأه ولا يحببيك
عما لم يبلغه وانت المتتجني وهو المتأني وانت العائب وهو الصامت ،
فإن قلت : كيف هذا وقد جلس مجلساًانا أحق به ؟ فقد فارت ولكن
ذلك بما كسبت يداك ونكص عنده عقباك ، لأنك بالأمس الاذني هرولت
البعض أظن انهم يحملون جيدك وينتهبون اصبعك وياطأون عقبك ويرون
الرشد بك ويقولون : لا بد لنا منك ولا معدل لنا عنك . وكان هذا
من هفو انت الــكبير وهذا نك التي ليس لك منها عذر والآن بعد ما
نزلت عرشك بيدك ونبذت رأي حملك في البيداء يتقد هذه في السافرية
خذ بأحزم مما يتوضّح به وجه الامر: لا تشار هذا الرجل ولا تغاره
ولا يبلغه عنك ما يتحقق عليه انه كاشنوك اصحاب انصاراً وان
كاشفته لم تر الا ضراراً ولم تستلاح الا عشاراً واعرف من هو بالشام
له ومن هنا حوله من يطبع امره ويتعثّل قوله ولا تفتر بــاس
يطيفون بك ، ويدعون الحنو عليك والحب لك فأنهم بين مولى جاهل
وصاحب متعن وجليس يرعى العين ويدتدر المحضر ولوطن الناس بك
ما نظن بنفسك لكان الامر لك والزمام في يدك ولكن هــذا حدث
يوم صرض رسول الله (ص) فــات ثم حرم الكلام فيه حين مات ، فعليك

فكيف جاز هذا الاسلوب البياني المطبب فيه ذو الانشاء الصناعي
المزوق والاستهارات السكثيرة والسكنيات الفربية والتراكيب المولدة
والسجعات المرددة على ابن ابي الحميد؟

قال ابن الحديد : قلت للاشريف ابي جعفر النقيب « قد وقفت لأبي حيان التوحيدى في كتاب « البصائر » على فصل عجيب يغازج ما نحن فيه (٢) ، قال في الجزء الخامس من هذا الكتاب :

١١) شرح النهج «ج ٣ ٦ ص ٢٨٢ - ٣».

(٢) كان كلامهم في المفاضلة بين على من جهة وجزءة وجعفر من جهة أخرى .

وقد نقلناه سابقًا.

سُكنت قاضي القضاة أبا سعد بشير بن الحسين - وما رأيت رجالاً أقوى منه في الجدل - في مناظرة جرت بينه وبين أبي عبد الله الطبرى ، وقد جرى حديث جمفر بن أبي طالب وحديث اسلامه والتفاصل بينه وبين أخيه علي ، فقال القاضي أبو سعد : إذا انعم النظر فأن اسلام جعفر كان بعد بلوغه واسلام البالغ لا يكون الا بعد استبعاد وتبين ومعرفة بقبح ما يخرج منه وحسن ما يدخل فيه وإن اسلام علي مختلف في حاله وذلك انه قد ظن انه كان عن تلقين لا تبيين الى حين بلوغه وأوان تمقبه ونظره وقد علم ايضاً انها قتلاً وإن قتلة جعفر شهادة بالاجماع وقتلة علي فيها أشد الاختلاف ثم خص الله جعفراً بأن قبضه الى الجنة قبل ظهور التباين واضطراب المحبيل وكثرة الهرج وعلى انه لو انعقد الاجتماع وتظاهر جميع الناس على ان القتليتين شهادة لـ كانت الحال التي رفع اليها جعفر اغماضه واعظم وذلك انه قتل مقبلاً غير مدبر وأما علي فانه اغتيل اغتيالاً وقد من حيث لا يعلم وشتان ما بين من فوجىء بالموت ومن عاين مخايل الموت وتلقاء بالنصر والصدور وعجل الى الله بالاعياد والصدق ، الا ان علم ان جعفراً قطعت يمناه فأمسك اللواء بيسراه وقطعت بسراه فضم اللواء الى حشاء ؟ ثم قاتله ظاهر الشرك بالله وقاتل على من حمل صلاته الى القبلة وشهد

الشهادة واقدم عليه بتأويل وقائل جعفر كافر بالنص الذي لا خلاف فيه
اما تعلم ان جعفرآ ذوالجناحين وذوالهمجرتين الى الحبشة والمدينة ؟ ».
قال النقيب (رح) « فداك شيخك اذ أبا حياز رجل ملحد
زنديق ، يحب التلاعب بالدين ويخرج ما في نفسه فيعزوه الى قوم لم
يقولوه وأقسم بالله ان القاضي أبا سعد لم يقل من هذا الكلام لفظة
واحدة ولكنها من موضوعات أبي حياز واكاذيبه وترهاته كما يسند
إلى القاضي أبي حامد المروري كل منكر وبروي عنه كل فقرة ».
« يا أبا حياز مقصودك ان تجعلها مسألة خلاف تثير بها فتنة بين
الطلابين لتجعل بأسمهم بهم » وكيف تقلبت الأحوال فالغدر لهم لم
يخرج عنهم ». .

ثم ضحك النقيب (رح) حتى استلقى ومد رجليه وقال « هذا
كلام يستغنى عن الاطالة في ابطاله باجماع المسلمين ، فإنه لا خلاف بين
المسلمين في ان علياً افضل من جعفر وانما سرق ابو حياز هذا المعنى
الذي اشار اليه من رسالة المنصور ابي جعفر الى محمد بن عبدالله
النفس الزكية ، قال له : وكانت بنو امية يلغون اباك في ادب الصلوات
المكتوبات كما يلعن الكفارة فعنفناهم وكسفناهم وبيننا فضله واسدنا
بذكره فأخذت ذلك علينا حجة وظننت انه لما ذكرناه من فضله انا

قدمناه على حمزة والعباس وجعفر اولئك مصوّرًا سالمين مصلحين هنّهم
وابتلي ابوك بالدماء ».

فقلت له : واذن لا اجماع في المسألة لأن المنصور لم يقل بتفصيله عليهم ، وانت ادعيت الاجماع . فقال : ان الاجماع قد سبق هذا القائل ، وكل قول قد سبقه الاجماع لا يعتمد به .

فاما خرجت من عند النقيب أبي جعفر بحثت في ذلك اليوم في هذا الموضع مع أحمد (١) بن جعفر الواسطي (رح) وكأنه ذا فضل وعقل وكان أمامي المذهب فقال لي : صدق النقيب فيها قال ، ألسنت تعلم أن أصحابكم المفترزة على قولين أحدهما أن أكثر المسلمين ثواباً أبو بكر والآخر أن أكثرهم ثواباً علي ، وأصحابنا الإمامية يقولون أن أكثر المسلمين ثواباً علي وكذاك الزيدية وأما الأشعرية والسكرامية وأهل الحديث فيقولون أكثر المسلمين ثواباً أبو بكر ، فقد خاص من مجموع هذه الأقوال أن ثواب حمزة وجعفر دون ثواب علي ، أما

(١) كان ذلك بين سنة «٦٠٥» وسنة «٦١٠» وأحمد بن جعفر هذا ظاهر أسره انه المعروف بابن الدياني عميد الدين ابو العباس ابن عم الحافظ المؤرخ جمال الدين محمد بن سعيد الشافعي ، كان أدبياً شاعراً له نظم ونثر في الأخبار والسيرة وعنه كتب حيدة ، نثر قصيدة للعربي في ثلاثة مجلدات وتوفي سنة «٦٢١» هـ .

على قول الامامية والزيدية والبغداديين كافة وكثير من البصريين من المعتزلة فالامر ظاهر واما الباقيون فعندهم ان اكثرا المسلمين توأياً ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ولم يذهب ذاهب الى اذ تواب حزة وجمفر اكثرا من تواب على من جميع الفرق ، فقد ثبتت الاجماع الذي ذكره النقيب اذا فسرنا الافضلية بالاكتيرية توأياً وهو التفسير الذي يقمع الحجاج والجدال في ائمه اته لا حميد الرجال واما اذا فسرنا الافضلية بنزادة المناقب والخصائص وكثرة النصوص الدالة على التعميم فعلوم ان أحدا لا يقارب علينا في ذلك لاجفر ولا حزة ولا غيرها »

« ثم وقع بيدي بعد ذلك كتاب لشيخنا ابي جعفر الاسكافي ذكر فيه ان مذهب بشر بن المعمري وابي مومني وجعفر بن مبشر وسائر قدماء البغداديين من المعتزلة ان افضل المسلمين علي بن ابي طالب ثم ابنته الحسن ثم ابنته الحسين ثم حزة بن عبد المطلب ثم جعفر بن ابي طالب ثم ابو بكر بن ابي قحافة ثم عمر بن الخطاب ثم عثما بن عفان . قال ابو جعفر الاسكافي : والمراد بالأفضل اكثراهم عند الله واكثرهم توأياً وارفهم في دار الجزاء منزلة . ثم وقفت بعد ذلك على كتاب لشيخنا ابي عبدالله البصري يذكر فيه هذه المقالة وينسبها الى المعتزلة البغداديين ، قال : ان الشيخ ابا القاسم البلخي كان يقول بها

وقبله الشيخ ابو الحسين الخطاط ، وهو شيخ المتأخرین من البغدادیین
قلوا كلهم بها ، فاعجبتی هذا المذهب ومررت بآن ذهب الكثیر من
شيوخنا اليه ونظمته في الارجوزة التي شرحت فيها عقیدة
المعزلة (١) .

١٦ - الوزیر أبو القاسم المغربي

هو ابو القاسم الحسین بن علی بن الحسین بن محمد بن یوسف
من ذریة بلاس بن بهرام جور وامه فاطمة بنت ابی عبدالله محمد بن
ابراهیم بن جعفر النعماںی صاحب الغيبة ، وكأنه صدیق ابی العلاء المعری
وأدیب زمانه وسائل عصره وداعیة أيامه ، توفي منتصف شهر
رمضان سنة ٤٩٨ . وجرت له وعلیه أحداث بالعراق .

قال ابن ابی الحدید (١) وحدتني ابو جعفر يحيی بن محمد بن ابی
زید الملوی نقیب البصرة . قال : لما قدم ابو القاسم الحسین بن علی
المغربي من مصر الى بغداد ، استکتبه مشرف الدولة ابو علی بن یاه
الدولة بن عضد الدولة بن رکن الدولة بن بویه - وهو يومئذ سلطان
الحضره « بغداد » وأمير الامراء بها - والقادر بالله خلیفة ، ففسدت

(١) شرح النهج « ج ٣ ، ص ٢٨ - ٤٠ » .

الحال بيته وبين القادر وافق لأبي القاسم المغربي أعداء سسوه
 أو حشووا القادر منه وأوهموه انه مع مشرف الدولة في (عزم) القبض
 عليه وخلقه من الخلافة ، فأطلق لسانه في ذكره بالقبيح وواصل القول
 فيه ، والشكوى منه ونسبه إلى الرفض وسب السلف والى كفران
 النعمة وانه هرب من يد الحكم صاحب مصر بعد احسانه اليه . قال
 النقيب : قاما الرفض فنعم وأما احسان الحكم اليه فلا ، كان الحكم
 قتل اباه وعمه وأخاً من اخوته (١) وافت منه ابو القاسم بجريعة
 الذقن (٢) ، ولوظفر به لاحقه بهم . وكان ابو القاسم المغربي ينسب
 في الأزد ويتعصب لقططان على عدنان وللأنصار على قريش وكان
 غالباً في ذلك مع تشيعه وكان أدبياً فاضلاً شاعراً متسللاً كثير الفنون
 عالماً . وانحدر مع مشرف الدولة الى واسط فافق ان حصل بيد القادر
 بالله كتاب بخطه شبه بجموع قد جمعه من خطبه وشعره وكلامه مسوداً ،
 أخف القادر به بعض من كان يشأ أبو القاسم وبريد كيده ، فوجد

(١) نقول : انه هرب منه بعد ان قتل اباه وعمه وأخريه في الثالث من ذي
 القعدة سنة « ٤٠٠ » هـ كما وفىيات الأعيان لابن خلكان « ج ١ ، ٦ ص ١٧١
 - ٣ » من طبعة المجمع ، ولم يقف الدكتور طه حسين في « ذكرى أبي
 العلاء » على تاریخ قتلهم ، ظنه بجهولاً مع انه مذكور في الوقيات كما قدمنا .

(٢) الجريعة تصغير الجرعة ومعنى ذلك « هرب بعشاشة نفسه » .

القادر في ذلك المجموع قصيدة (١) من شعره فيها تعصب شديد
 للأنصار على المهاجرين حتى خرج إلى نوع من الاحاد والزندقة ،
 لافرط غلوه وفيها نصريح بالرفض مع ذلك ، فوجدها القادر ثرة
 الغراب ، وابرزها إلى ديوان الخلافة ، فقرىء المجموع والقصيدة
 بمحضر من اعيان الناس من الاشراف والقضاة والمعاردين والفقهاء
 وشهد أكثرهم انه خطه وأنهم يعرفونه كما يعرفون وجهه ، وأمر
 بكتابته مشرف الدولة بذلك ، فالي ان وصل الكتاب إلى مشرف الدولة
 بما جرى التصل الخبر بابي القاسم قبل وصول الكتاب إلى مشرف الدولة
 فهرب ليلاً ومهما بعض غلمازه وجارية كان يهواها ويتحظاها ومضى
 إلى البطيحة ثم منها إلى الموصل ثم إلى الشام ومات في طريقه فأوصى
 أن تحمل جثته إلى مشهد علي ، فحملت في تابوت ومهما خفراه العرب
 حتى دفن بالمشهد بالقرب من الامام » .

قال ابن أبي الحديد : وكنت برهة أسأل النقيب أبا جعفر عن
 القصيدة وهو يدافعني بها حتى املاها علي بعد حين وقد اوردت

(١) قال ابن أبي الحديد في «وضع آخر» وكان الوزير يتبرأ من الشعر
 ويعجده وقيل أنه وجده بخطه في مسودة ردمت إلى القادر» لا يرجح النهج
 ج ٤ ص ٥٠٧ » .

هـنـا بـعـضـهـ لـأـنـي لـمـ اـسـتـجـزـ وـلـمـ اـسـتـحـلـ اـيـرـادـهـ عـلـىـ وجـهـهـ ، فـ
جـلـمـهـ . وـهـ يـذـكـرـ فـيـ اوـلـهـ اـرـسـلـهـ اللـهـ (صـ) وـيـقـولـ اـهـ لـوـلاـ الـاـنـصـارـ
لـمـ تـسـتـقـمـ لـدـعـوـتـهـ دـعـامـةـ وـلـاـ اـرـسـيـتـ لـهـ قـاعـدـةـ فـيـ اـبـيـاتـ فـاحـشـةـ كـرـهـاـ
ذـكـرـهـ : -

نـحـنـ الـدـيـنـ بـنـاـ اـسـتـجـارـ فـلـمـ يـضـعـ
فـيـ بـدـرـهـ كـنـحـائـرـ الـجـازـ
بـنـفـوسـنـاـ لـلـعـوتـ خـوفـ الـعـارـ
فـنـجـاـ بـمـهـجـةـهـ وـلـوـلاـ ذـبـنـاـ
وـجـمـيـةـ السـعـدـيـنـ بـلـ بـحـمـاـيـةـ السـعـدـيـنـ يـوـمـ الـجـحـلـ الـجـرـارـ
فـيـ الـخـنـدقـ الـمـشـهـورـ اـذـقـيـهـ بـهـارـ
لـمـ نـعـطـهـاـ فـيـ سـالـفـ الـاـعـصـارـ
نـحـوـ الـحـتـوـفـ بـهـاـ بـدـارـ بـدـارـ
تـذـكـرـ فـهـنـ كـرـائـمـ الـآـنـارـ
مـسـتـصـرـخـاـ بـعـقـيرـةـ وـجـوارـ
مـنـاـ جـوـعـ هـوـازـنـ بـفـرـارـ
شـرـوـيـ النـقـيرـ وـحـةـ النـثارـ

(١) سـجـيـنـةـ هـيـ قـبـيلـةـ قـرـيشـ وـكـانـتـ تـبـذـ يـهـذاـ الـقـبـ.

أفتحن أولى بالخلافة بعده
ما الامر الا أمرنا وبسمدنا
لكنها حسد النفوس وشحها
افضى الى هرج ومرج فانبرت
وتداولتها أربع لولا ابو ... حسن لقلات لؤمت من استار
من عاجز ضرع ومن ذي غلظة
ثم ارتدى المحروم فضل رداءها
فتأنكأت تلك الجدى وتلمظت
تالله لو ألقوا اليه زمامها
ولو أنها حللت بساحة مجده
هو كالنبي فضيلة لكن ذا
والفضل ليس بنافع أربابه
ثم امتطاها عبد شمس فاغتدت
وتتفقلت في عصبة اموية
ما بين مأفون الى متزندق
فهذه الآيات هي نظيف للقصيدة ، التقيناها وحذفنا الفاحش وفي
الآيات المذكورة أزيد من

وقوله «القى بها بيده» وقوله «فنججا بمهرجته» البيت وقوله عن أبي بكر
«عبد تيم» وقوله «لولا علي لقلت في الأربعة إنهم استار لؤم» .
وذكره الثلاثاء بما ذكرهم ونسبهم إليه ^(١) وفي الشمر تصحيف .

١٧ - كأن الآيات قيلت في الحسين

وعقد ابن أبي الحميد فصلاً في إباء الآية والأشعار الواردة فيه ،
قال : سمعت ابن أبي زيد يحيى الملوى البصري يقول «كأن آيات
أبي قاتم في محمد بن حميد الطائي ما قيلت إلا في الحسين (ع) :
وقد كان فوت الموت سهلاً فرده إليه الحفاظ المر والخلق الور
ونفس تعاف الضيم حتى كأنه هو والكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأنبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من نحت أخنك الحشر
تردى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر ^(٢) »

١٨ - النابغة الذبياني أشعارهم

وتطرق ابن أبي الحميد في شرحه إلى التفضيل بين الشعراء ونقل
من كتاب «طبقات الشعراء» قول محمد بن سلام مؤلفها «وقال من

(١) مشرح النهج «ج ٢ ، ص ٦ - ٧» .

(٢) المرجع المذكور «ج ١ ، ص ٣٠٢» .

احتى لـ**النابغة** : كان احسنهم دباجة شرو و اكثـرهم رونق كلام وأجزـطم
بيتاً ، كأنـ شـمره كـلام ، ليس بـتكلـف ، والـمنطق عـلى المـتكلـم اوـسع منه
عـلى الشـاعـر ، لأنـ الشـاعـر يـحتاج إـلـى الـبنـاء والـعروـض والـقوـافـي ، والمـتكلـم
مـطلق يـتـخيـر الـكلـام كـيف شـاء ، قالـوا : والنـابـغـة نـبع بالـشـعـر بعدـ ان
احـتـنـك وـهـلـك قـبـل انـ يـهـرـ ». .

قالـ ابنـ اـبـيـ الحـدـيد : وكانـ اـبـوـ جـعـفـريـحـيـ بنـ مـحـمـدـ بنـ اـبـيـ زـيدـ
الـعلـويـ الـبـصـرـيـ يـفـضـلـ النـابـغـةـ ، وـاسـتـقـرـأـنيـ يـوـمـاـ ، وـبـيـديـ دـيـوـانـ
الـنـابـغـةـ ، قـصـيـدـتـهـ الـتـيـ يـعـدـ بـهاـ النـعـمـانـ بـنـ الـمنـذـرـ وـبـذـ كـرـصـضـهـ وـيـعـتـذرـ
إـلـيـهـ مـاـ كـانـ أـتـهـ بـهـ وـقـدـفـهـ بـهـ اـعـدـاؤـهـ وـأـوـلـهـ :

كـتـمـتـكـ لـيـلاـ بـالـجـمـوـمـينـ سـاهـرـاـ وـهـمـينـ هـمـاـ مـسـتـكـنـاـ وـظـاهـرـاـ
أـحـادـيـثـ نـفـسـ تـشـكـيـ ماـ يـرـيـهاـ وـوـرـدـ هـمـومـ لـوـيـجـدـنـ مـصـادـرـاـ
تـكـلـفـيـ أـنـ يـفـلـ الدـهـرـ هـمـهاـ وـهـلـ وـجـدـتـ قـبـلـيـ عـلـىـ الـدـهـرـ نـاصـراـ^(١)
أـلـمـ تـرـ خـيرـ النـاسـ أـصـبـحـ نـمـشـهـ عـلـىـ فـتـيـةـ^(٢) قـدـ جـاـزـ الـحـيـ سـائـرـاـ^(٣)

(١) قـارـ فيـ الاـصـلـ «ـيـقـولـ : هـذـهـ نـفـسـ تـكـلـفـيـ انـ لاـ يـعـدـتـ الدـهـرـ هـمـاـ
وـلـ حـزـنـاـ وـذـلـكـ مـاـ لـمـ يـسـطـعـهـ اـحـدـ قـبـلـيـ ». .

(٢) قـالـ فيـ الاـصـلـ «ـكـانـ الـمـلـكـ مـنـهـ اـذـ مـرـضـ حلـ عـلـىـ نـمـشـ وـطـيـفـ بـهـ
عـلـىـ اـكـتـافـ الرـجـالـ بـعـنـ الـحـيـةـ وـالـخـورـنـقـ وـالـنـجـفـ بـنـزـهـوـنـ ». .

(٣) فـيـ روـاـيـةـ «ـفـتـيـةـ ». .

ونحن لديه نسأل الله خلده
 فنمحن نرجي الخير ان فاز قدحنا
 لك الخيراً وارث بك الأرض واحداً
 وردت مطاباً الراغبين وعريت
 رأينك ترعاني بعين بصيرة
 وذلك من قول أتاك أقوله
 فياليت لا آتيك إن كنت مجرماً^(١)
 فأهلي فداء لاميء ان أتينه
 ساربط^(٤) كلبي ان يربك فبحه
 وحلت بيوني في يفاع منع
 تزل الرغول العصم عن قذفاته
 حذاراً على أز لا تزال مقادتي
 ولا نسوتي حتى يعن حرائرها

(١) في رواية « يظلم » .

(٢) في رواية « أعدائي » .

(٣) في الأصل « أي لا آتيك حتى يثبت عندك اني غير مجرم » .

(٤) في رواية « سأكمم » قال « أي سأمسك لسانك عن هبائك وات

كنت بالشام في هذين الواديين البعدين عنك » .

(٥) يقول « أنا لا أتجبوك وان كنت من المنعة والمصمة على هذه الصفة » .

أقول وقد شطت بي الدار عنك
 إذا ما لقيت من معد مسافرا
 إلا أبلغ النعماً حيث لقيته
 فأهدي له الله الغivot البوا كروا
 وأصحابه ^(١) فلجمًا ولا زال كعبه
 على كل من عادى من الناس ظاهرا
 ورب عليه الله أحسن صنعة
 وكان له على المعادين ناصرا
 قال ابن أبي الحديد : فجعل أبو جعفر (رح) بهز ويطرد ثم
 قال « والله لو مزجت هذه بشعر البحترى لكان ذلك تجزج لسهولها
 وسلامة ألغاظها وما عليها من الدبياجة والرونق . من يقول إن
 امرأ القيس وزهيرًا أشعر من هذا ؟ هلموا فليحاكوني ^(٢) »
 وهذا آخر ما جمعناه من أقوال الشريف شرف الدين بمحبى بن محمد
 ابن أبي زيد البصري النقيب ، وقد تركنا من أقواله ما لم نر فائدة في
 انباته وهو قليل جداً بل هو لا يبلغ أن يوصف بالقليل ، وهذه الأقوال
 تصور لنا وجهاً من وجوه الثقافة العربية الإسلامية العراقية في عصر
 مضى من العصور الزاهرة بالعراق .

(١) في رواية « أصحابه » .

(٢) شرح النجع (ج : ، ص ٥٠٦ - ٥٠٢) .



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarab.com

حمد بن الْمُهَر

سلة تربط بين الماضي والحاضر وتنزج بين القديم والحديث .
ـ شهرية تماج شنی المواضيع بأقلام حرة تنقل الأدب الحي
الرقيق والرأي المجرد الحرج .

يصدرها

عبدالإله البيتي

باشراف

جماعة سه أعضاء المكتب

العنوان : ٨٠ فلساً في العراق

ـ ١٠٠ أو ما يعادتها في الخارج

جميع المراجعات مع

عبدالله بدر البيتي - السكاذهيبة